King Faisal
INTERNATIONAL PRIZE

سجل الندوة العلمية

عبد الله العثيمين

مؤرخاً وأديباً

الأربعاء ١٥ ربيع الأول ١٤٣٨هـ / ١٤ ديسمبر ٢٠١٦م

King Faisal
INTERNATIONAL PRIZE

سجل الندوة العلمية

عبد الله العثيمين

مؤرخاً وأديباً

الأربعاء ١٥ ربيع الأول ١٤٣٨هـ / ١٤ ديسمبر ٢٠١٦م

ح جائزة الملك فيصل العالمية، ١٤٣٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الامانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية
عبدالله العثيمين مورخًا وأديبًا. / الامانة العامة لجائزة
الملك فيصل العالمية - الرياض، ١٤٣٨ هـ

.ص ، .سم
ردمك: ٨-٤٧٧٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- العثيمين ، عبدالله بن صالح ، ت ١٤٣٧ هـ ٢- الأدباء
السعوديون أ. العنوان

ديوي ١٥٣١، ٩٢٨ ١٤٣٨/٨٧٧٣

رقم الإيداع: ١٤٣٨/٨٧٧٣
ردمك: ٨-٤٧٧٣-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

برنامج الندوة:

الجلسة الأولى:

9:30 ص - 11:30 ص

عبدالله العثيمين مؤرخاً

إدارة:

معالي الأستاذ الدكتور فهد بن عبد الله السماري

المشاركون:

- الأستاذ الدكتور عبد العزيز بن صالح الهلابي
- الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد
- الأستاذ الدكتور خالد بن حمود السعدون

الجلسة الثانية:

12 ظهرا - 2 ظهرا

عبدالله العثيمين أديباً

إدارة:

الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن التركي

المشاركون:

- الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الهدلق
- الأستاذة الدكتورة لويزا بولبرس
- الأستاذ الدكتور إبراهيم بن عبد الرحمن المطوع

الجلسة الثالثة:

8:00 م - 10:00 م

شهادات

إدارة:

معالي الأستاذ الدكتور علي بن إبراهيم النملة

المشاركون:

- معالي الأستاذ الدكتور أحمد بن محمد الضبيب
- الأستاذ الدكتور عباس بن عبد الله الجراري
- الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب الناصري
- الأستاذ حسين بن عبد الرحمن العذل
- الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت
- الدكتور صالح بن عبد الله العثيمين

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الأستاذ الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين مؤرخ، وشاعر، وصاحب رؤى متعددة، عبر عنها في مقالاته المتنوعة. ارتبط اسمه بجائزة الملك فيصل العالمية. ظل مخلصًا لها، وفيًا معها، أمينًا لها مدة ثلاثة عقود.

لم تنته علاقته الرسمية، رحمه الله، بالجائزة إلا حين لم تعد ظروفه الصحية تساعده على القيام بواجباته نحوها، وكان ذلك في شهر رمضان ١٤٣٦هـ/ يونيو ٢٠١٥م. وفي حفل توزيع الجائزة (٤ جمادى الآخرة ١٤٣٧هـ/ ٢٣ مارس ٢٠١٦م)، عُرِضَ فيلمٌ قصيرٌ عن حياته، وتم تكريمه بدرع الجائزة، الذي تفضل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز بتسليمه لابنه الدكتور صالح، نظرًا لتعذر حضور الدكتور العثيمين بسبب وضعه الصحي.

ولم تكتف أمانة الجائزة بهذا التكريم، وإنما قامت، بدعم واهتمام من صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة، بالترتيب لإقامة ندوة علمية حول جهوده، يرحمه الله.

جاءت فكرة الندوة العلمية، من أجل أن يكون الاحتفاء وقفاتِ تأمل علمي أكاديمي للمنجز الكبير للدكتور العثيمين في عوالم التاريخ والأدب والإنسانية، وأن يكون احتفًاء يمكث في الأرض، وتخلده مكتبات الوطن العربي بسفر معرفي يحوي البحوث، والمداخلات العلمية والشخصية.

يضم هذا السجل محتوى الندوة، ونقدمه للمكتبة العربية، ليكون جزءًا من وفاء جائزة الملك فيصل العالمية لأمينها العام السابق الدكتور عبدالله العثيمين، تغمده الله بواسع رحمته.

الثناء الوافر والتقدير الجزيل للعلماء على تفضلهم بالاستجابة وإعداد بحوث تاريخيه وأدبية قيمة، ومراجعتها قبل الطباعة. وللمشاركين في الندوة خالص الشكر على مداخلاتهم الثرية التي غطت جوانب علمية وإنسانية في شخصية الراحل، المغفور له بإذن الله.

والشكر موصول للزملاء في أمانة الجائزة على جهودهم ومتابعتهم.

والله ولي التوفيق.

د. عبدالعزيز السبيل

الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية

عبدالله العثيمين مؤرخًا

أ. د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي

أستاذ بكلية الآداب جامعة الملك سعود (سابقا) الرياض

اختار عبدالله العثيمين، رحمه الله، في أواخر الستينيات من القرن الماضي، عندما كان طالب دكتوراه في جامعة أدنبره Edinburgh University باسكوتلندا/المملكة المتحدة، التاريخَ الحديثَ للجزيرة العربية ميدانًا لدراسته، ثم اختار أهم حدث تاريخي غير وجه الجزيرة في التاريخ الحديث موضوعًا لدراسته، ألا هو قيام الدولة السعودية الأولى بناء على الاتفاق السياسي-الديني المشهور بين أمير الدرعية محمد ابن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب، في عام (١١٥٧هـ/١٧٤٤م)، ثم قصر الموضوع على الجانب الديني المتمثل بـ «محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره». ودراسة هذا الجانب مرتبط ارتباطًا عضويًا بالجانب السياسي إذ لا انفصام بينهما.

شرح العثيمين جوانب من الصعوبات التي واجهته في مطلع دراسته لهذا الموضوع، منها: قلة المصادر الأساسية للبحث، وذلك مما يحد من قدرته على تناول بحثه بطريقة مرضية، وكثرة الدراسات القائمة على تلك المصادر الأساسية، وهذه وإن كانت تسهم في توسيع أفق الباحث إلا أن بعضها بلغات لا يتقنها، وكثرة الدراسات عن موضوع معين تُحِدُّ من فرص الابتكار فيه. والمصادر المؤيدة لمبادئ دعوة/حركة الشيخ لا بأس بها من حيث الوفرة والتزويد ببعض التفصيلات عن حياته ودعوته، لكن أكثر المصادر المحلية المعارضة له مفقود أو في حكم المفقود، ولو وُجِدت هذه المصادر لزادت فرص اكتمال الصورة لدى الباحث وأصبحت أقرب إلى الموضوعية[1] ومن هنا، فإن من يحاول التصدي للكتابة عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب سيجد أمامه الكثير مما لا بد من قراءته، والقليل مما يمكن قوله على أنه جديد أو مبتكر[1].

وأشار في هذا السياق إلى نقطة منهجية مهمة، هي أن الدولة السعودية الحاضرة امتداد للدولة السعودية التي قامت على أساس دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وما زال الأثر الطيب لهذه الدعوة قائمًا، ومن أراد أن يكتب من أفراد شعب هذه الدولة خاصة عن هذه

(١) العثيمين، عبدالله الصالح، الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره، الرياض، دار العلوم، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص٨

الدعوة فإن كتابته قد تتأثر لصالحها مهما حاول أن يكون محايدًا[٢]. وأضاف قائلا: لقد بذلت ما في وسعي للتغلب على كثرة ما كُتب في هذا الشأن، كما بذلت جهدي المستطاع لاتخاذ موقف محايد تجاه المسائل المختلفة[٣].

لا شك في أن دراسة حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب تقتضي دراسة المجتمع الذي نشأت وترعرعت فيه من الجوانب المختلفة مما سيساعد في تفسير أسباب قيام الدولة السعودية الأولى. كانت نجد في تلك الحقبة من التاريخ تعاني من فراغ السلطة السياسية لعدم وجود مقومات اقتصادية كافية لقيام دولة، أو أقله زعامة محلية واحدة تضبط الأمن في الحاضرة والبادية، ونتج عن ذلك انتشار الفوضى والفلتان الأمني. أما الوضع في شرقي الجزيرة العربية وغربيها فكان أحسنَ حالا إذ كان «الجبور» يحكمون المنطقة من مركزهم في الأحساء ويفرضون سلطتهم على قبائل المنطقة بوسائلهم المختلفة، ومدوا نفوذهم إلى مناطق من نجد وقبائلها بنسب مختلفة، وكانت قواتهم مع حلفائهم من قبائل وحواضر نجد ...

أما في غربي الجزيرة في الحجاز فكانت تُحكم على مستويين: الوجود العثماني الإداري والعسكري في المدن الرئيسة خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة، وحكم الأشراف الذين يقومون بالإدارة المحلية وضبط العلاقات مع القبائل إما بالإخضاع أو بالتحالف.

كان كل من الجبور في الشرق والأشراف في الغرب يوجهون الغزوات إلى نجد لغايات مختلفة. ومن قراءة العثيمين المتأنية لهذه الغزوات لاحظ أن كثيرًا من غزوات الأشراف كان موجهًا ضد سكان المدن والقرى، بعكس غزوات الجبور التي كان أكثرها موجهًا ضد القبائل الرُّحَل، وبما أن رجال الحاضرة عادة لا يعتدون على قوافل الحجاج فإنه من غير المحتمل أن تكون حماية تلك القوافل سببًا لغزوات الأشراف نجدًا. والمرجح أن الهدف الحصول على غنائم وفرض نفوذ على البلاد تُسَنُّ من خلاله ضرائب سنوية على السكان، وكانت البلدان التي لا تفي بالتزامها لحكام مكة أو تحاول الثورة عليهم تعاقب بشدة.

كما لاحظ العثيمين أن نجدًا لم تشهد نفوذًا قويًا يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأي جهة كانت، فلا نفوذ بني جبر، ومن بعدهم نفوذ بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعًا من الاستقرار السياسي، فالحروب بين البلدان النجدية ظلت قائمة، والصراع بين قبائلها المختلفة استمر حادًا وعنيفا[٤].

والمجال لا يتسع للحديث عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية رغم أهميتها.

(٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب...، ص٩
(٣) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١٠
(٤) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١١

ومن دراسته للحالة الدينية في نجد عند قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يخلص العثيمين إلى الآتي: « من المقارنة بين المصادر المختلفة يتضح أن الحالة الدينية التي كانت سائدة في نجد آنذاك لم تكن بالصورة القاتمة التي أظهرتها بها المصادر المؤيدة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وأنها كانت غير متفقة مع مبالغة من قال عن أهل المنطقة آنذاك بأنهم خلعوا ربقة الإسلام والدين[٥]، وبعيدة عن الادعاء القائل: أن كل أثر للإسلام كان قد اختفى من نجد[٦].... على أن تلك الحالة، من ناحية أخرى، لم تكن مشرقة مثلما يُستنتج من المصادر الشعرية. لقد كان هناك جهلة يمارسون أعمالاً شركية، ولكن عدد هؤلاء كان قليلًا إذا قورن بمجموع السكان[٧].

وعلى أية حال فقد كانت المنطقة في حاجة إلى دعوة إصلاحية توضح للجهال من الناس ما كان خافيًا عليهم، وتقضي على الوسائل التي تؤدي إلى ما يخل بعقائدهم، وتلزم، في نفس الوقت، من كانوا لا يؤدون شعائر الإسلام من صلاة وصوم ونحوهما بأدائها.

وكما أن المنطقة كانت في حاجة إلى دعوة دينية إصلاحية، وكانت مكانًا مناسبًا لنجاحها؛ فقد كانت، أيضًا، في حاجة إلى حركة سياسية تجمع شتات إماراتها الصغيرة المتحاربة أحيانًا وقبائلها المختلفة المتصارعة حول موارد المياه ومواطن الكلأ، وتكون منها دولة واحدة ليسود الاستقرار والأمن. ومن حسن الحظ أنها أيضًا كانت أرضًا خصبة قابلة لنجاح أية حركة سياسية من هذا النوع. فقد كانت بعيدة عن متناول أية سلطة مركزية قوية، وبإمكان أية حركة أن تحرز نجاحًا أوليًا على الأقل دون أن تلفت إليها الأنظار وتمتد إليها قوة خارجية لا طاقة لها بها. وكون إماراتها وقبائلها يسود بينها الاختلاف قد يكون من بين عوامل النجاح للحركة أو الدعوة. فعندما تخفق في مكان معين فإن فرصة نجاحها في مكان آخر غير بعيد عنه أمرٌ عظيمُ الاحتمال. فخلاف صاحب المكان الثاني مع الأول قد يدفعه إلى الترحيب بمن رفضه[٨].

وقد عرض العثيمين جوانب من ردود الأفعال على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنها تباينت بين السلب والإيجاب قبل انتقاله من حريملاء (١١٥٧هـ/١٧٤٤م)، وبيَّن أن من أشد المعارضين لدعوته في هذه المرحلة الزمنية؛ ابن قاضي الدرعية واسمه: عبدالوهاب بن عبدالله بن عيسى، وكان نشيطا في الرد والتأليب عليه، ويبدو أن عبدالوهاب أقنع والده القاضي عبدالله بن عيسى بحيث غير موقفه من قبول الدعوة

(٥) يحيل العثيمين على: عبدالرحمن آل الشيخ، علماء الدعوة، ص١٢
(٦) نفسه
(٧) يحيل العثيمين على: وِليام بَلْجريف
William G. Palgrave, Personal Narrative of a Year's Journey through Central and Eastern Arabia, (1862-63), 2/370
(٨) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٢٣؛ العثيمين، تأملات في التاريخ والفكر، الرياض، النادي الأدبي، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص١٥

إلى معاداتها. ومنهم: عبدالله المويس قاضي حرمة، وسليمان بن سحيم قاضي الرياض، وكان هذا الأخير أشدهم معارضة إذ كتب رسالة إلى العلماء بصفة عامة، ومما كتبه لعلماء البصرة والأحساء بصفة خاصة ما أخبرهم فيه بظهور محمد بن عبدالوهاب في نجد واصفا إياه بأنه «مبتدع جاهل مُضِل ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل».

وأضاف ابن سحيم مسائل أخرى ضد الشيخ في مراسلاته اللاحقة، وقد تولى الشيخ بعد ذلك تفنيد أكثر هذه المسائل. ويرى العثيمين أن ابن سحيم كان مبالغًا في بعض ما ذكره عن الشيخ أو مشوها له، كما لاحظ أن رد الشيخ على بعض ما ذكر لا يمكن قبوله دون تحفظ[٩].

ومن دراسة العثيمين لرسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، خاصة في المراحل الأولى من دعوته، خلص إلى أن أسلوب الشيخ اختلف بين لين وشدة مثل قوله:
«من زعم من علماء العارض أنه قد عرف معنى لا إله الله أو عرف معنى الإسلام قبل هذا الوقت – يعني ظهور دعوته– أو زعم عن مشائخه أن أحدًا عرف ذلك فقد كذب وافترى»[١٠].

وفي إحدى رسائل الشيخ إلى قاضي الدرعية (عبدالله بن عيسى) يقول:

«أنتم ومشائخكم ومشائخهم لم يفهموا دين الإسلام، ولم يميزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحي»[١١].

وفي دراسة العثيمين لانتقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب من العيينة إلى الدرعية؛ التي توجت بالاتفاق بين أمير الدرعية محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب على النهوض بالدعوة الإصلاحية، يذكر العثيمين – اعتمادًا على المصادر المختصة – أن محمدًا ابن سعود اشترط على الشيخ مقابل تأييده له، عدم مغادرته الدرعية، وأن الشيخ وافقه على ذلك. ويضيف المؤرخ ابن بشر شرطًا آخر لمحمد بن سعود وهو: أن يقره على ما اعتاد أن يأخذه من أهل الدرعية وقت جني الثمار. وكانت إجابة الشيخ عن هذا الشرط غير حاسمة، إذ كانت عبارة عن رجاء الله أن يعوضه من الغنائم ما هو أكثر مما كان يأخذه من سكان بلدته. ويؤول العثيمين قبول الشيخ لهذا الشرط قائلًا: «وإذا سُلِّم بصحة ما ذكره ابن بشر هنا، فواضح أن الشيخ قارن بين المصلحة العامة لدعوته وبين مسألة جزئية كان واثقًا من حلها مستقبلًا بسهولة»[١٢].

(٩) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٥٠–٥٣

(١٠) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٥١، ويحيل إلى ابن غنام، روضة الأفكار، ١٤٦/١

(١١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٥١. ويحيل إلى ابن غنام، روضة الأفكار، ١٥٥/١ ،٧٤–١٧٥ ، وعمرو بن لحي الخزاعي – حسب ما تزعم مصادر السيرة النبوية – هو الذي أدخل عبادة الأصنام إلى مكة المكرمة متأثرا بعبادات أهل بلاد ما بين النهرين وسوريا.

(١٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٦١

كما ناقش العثيمين ما ذكره مؤلف كتاب «لمع الشهاب» من أن الشيخ والأمير اتفقا أيضًا على أن تكون الأمور السياسية لمحمد بن سعود وذريته من بعده، وأن تكون الشؤون الدينية لمحمد بن عبدالوهاب ونسله[١٣]. ويستنتج العثيمين أن اتفاقًا كهذا لم يحدث، وإنما تكونت الفكرة لدى البعض نتيجة مراقبة سير الأحداث فيما بعد. وكان طبيعيًا أن تستمر الزعامة السياسية في دولة الدرعية لآل سعود لأنهم كانوا أمراء البلدة، التي أصبحت قاعدة الدولة الجديدة، قبل ذلك الاتفاق. ووقوفهم مع الشيخ قَوَّى مركزهم وثبت استمرار قيادتهم. وكان عبدالعزيز بن محمد بن سعود مؤهلًا لأن يحل محل أبيه في إدارة الدولة. وكان طبيعيًا، أيضًا، أن تكون الشؤون الدينية في ايدي أبناء الشيخ محمد لكفاءتهم العلمية، خاصة ابنه عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ولمكانة أبيهم في قيادة الدعوة وتصريف أمور دولتها. وعلى هذا؛ فما حدث كان نتيجة طبيعية، ولم يكن على الأرجح بناء على اتفاق سابق[١٤].

ومن الأمثلة على منهج العثيمين النقدي توظيفه هذا المنهج، على ما ذكرت المصادر، عند الحديث عن أول غزوة سيَّرتها الدرعية ضد خصومها، سوف نوردها على ما فيها من الإطالة. وردت معلومات عند ثلاثة من المؤرخين، هم: مؤلف كتاب «كيف كان ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، وجون لودفيك بوركهارت في كتابه «ملاحظات عن البدو والوهابيين»، وعثمان ابن بشر في كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد»، وكان الغزاة على سبع أو ثمان من الإبل، ولم يحددوا لمن وُجِّهت الغزوة، ويضيف ابن بشر: أن الغزاة كانوا غير مدربين على ركوب الإبل لدرجة أنهم سقطوا من على أكوارها. وفي نقده لرواية المصادر يقول العثيمين: هذه المصادر الثلاثة متفقة على أن المبادرة في القتال آتية من الدرعية ضد خصومها، وعلى عدم تحديد الذين كانت الغزوة الأولى موجهة إليهم. كما أنها متفقة على أن تلك الغزوة كانت ضعيفة لكنها مختلفة في التفصيلات الموحية بضعفها.

ومن الواضح أن مؤلفي المصدرين الأولين بعيدان عن مركز الدعوة وسير الحوادث. أما ابن بشر فإن تفاصيل روايته تدل على ضعفها. فالمرجح أن يبذل قادة الدرعية ما في وسعهم لإظهار الغزوة الأولى خاصة بمظهر القوة حتى يعطوا انطباعًا قويًا عن أنفسهم. ومن المستبعد ألا تكون لدى الدرعية آنذاك قوة تحقق هذا الهدف. والإبل كانت وسائل المواصلات الأساسية في نجد في تلك الفترة، وكان كثير من أهل المنطقة يجيدون ركوبها. ومن غير المحتمل أن جيشًا يقوم بغزو ناجح لم يكن بين أفراده من يتقن ركوب الإبل. والمؤلف (ابن بشر) يقر بعدم معرفته الذين وُجِّهت إليهم هذه الغزوة، ولا يشير إلى من ينتمون، وهذا في حد ذاته من أدلة ضعف روايته. ذلك أن الغزوة الأولى لأنصار دعوة الشيخ محمد مهمة.

(١٣) انظر الريكي، جمال بن حسن (ت. بعد سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٧م)، لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، درسه وحققه وعلق عليه عبدالله الصالح العثيمين، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٧٣

(١٤) محمد بن عبدالوهاب، ص٦٢.

ومن المستبعد أن تكون غامضة مع هذه الأهمية. ومن ناحية أخرى فإن أهميتها لا بد أن تدفع مؤرخًا مثل ابن غنام لتسجيلها، وعدم ذكره لها مع أنه أقرب إلى زمن حوادث تلك الفترة من ابن بشر دليل آخر على ضعف رواية الأخير ورجحان عدم حدوث ما ذكر[١٥].

ومن خلال فحص العثيمين لـ«كتابات الشيخ محمد بن عبدالوهاب» في كتبه ورسائله فحصًا متأنيًا دقيقًا لاحظ أن الشيخ لم يستعمل أسلوبًا واحدًا في جميع كتاباته، وإنما جاء أسلوبه متنوعًا حسب الموضوع المكتوب فيه، والغرض الذي كتب من أجله، والشخص الذي كتب إليه، فأسلوبه في موضوع السيرة النبوية -مثلا- يختلف عن أسلوبه في الفقه، وكتاب التوحيد يختلف اختلافًا كاملًا عن كتاب كشف الشبهات، ذلك أن أسلوب الشيخ في «كتاب التوحيد» عرضي بحت، في حين أن أسلوبه في كتاب «كشف الشبهات» جدلي[١٦].

ثم يخلص إلى أنه يمكن اعتبار «كتاب التوحيد» المحور الأساسي الذي دارت حوله كتابات الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه في هذا الموضوع ... ومقارنة كتاب التوحيد بمؤلفات الشيخ الأخرى توضح أن المنهج الذي سلكه في تأليفه متميز، فهو مقسم إلى أبواب كثيرة يحمل كل باب منها عنوانًا مستقلًا. والصفة الغالبة فيه أن يورد تحت كل عنوان آية أو عدة آيات من القرآن الكريم متبوعة بحديث أو أحاديث نبوية مناسبة لعنوان الباب... وكثير مما في كتاب التوحيد مقتبس من المصادر الأساسية للشريعة الإسلامية وأقوال العلماء[١٧].

وفي دراسة للعثيمين بعنوان «نظرات في تاريخ المملكة العربية السعودية» ضمن دراسات وموضوعات أخرى، حاول فيها الإجابة عن عدد من التساؤلات المطروحة بين الباحثين والقراء حول جوانب من الحركة الإصلاحية والدولتين السعودية الأولى والثانية، ومما جاء فيها:

«ومن الأسئلة التي تُطرح أحيانًا: اسم ما نادى، وقام به الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ أهو دعوة أم حركة؟». وجوابه عن هذا التساؤل:

«بعض المتحمسين لما نادى وقام به الشيخ محمد ينفرون من استعمال كلمة «حركة». وربما كان هذا النفور ناتجًا عما انطبع في أذهانهم من أن الحركة تعني ما عهدوه في التاريخ المعاصر، مثل حركة القوميين العرب، فظنوا أنهم إذا تفادوا هذه التسمية يكونون أقرب إلى الصواب. ولذلك يفضلون كلمة «دعوة». ومن المعلوم أن كل طرح فكري يُنَادَى به يمكن أن يُسمى دعوة، سواء كان ذلك الطرح صحيحًا من الناحية الشرعية أو غير صحيح. ومن المعلوم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يقتصر على مجرد دعوة الناس إلى ما كان يراه صحيحا، وإنما أدرك -

(١٥) محمد بن عبدالوهاب، ص٦٥-٦٦
(١٦) محمد بن عبدالوهاب، ص٨١
(١٧) محمد بن عبدالوهاب ص٨٣-٨٥

بفكره الثاقب ووعيه لمسيرة التاريخ - أن نجاح أي دعوة مرهون بوجود عضد سياسي وعسكري يدعمها ويدافع عنها. وتحقق له ما أدركه في بداية الأمر على يد أمير العُيينة عثمان بن معمر، ثم تكلل نجاحه على أيدي قادة الدولة السعودية في الدرعية»[١٨].

ومن الأسئلة التي تُطرح أحيانًا: هل كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب عندما بدأ دعوته، أو حركته، كان يفكر في مدى المسرح الذي ستقوم عليه، وهل كانت هذه الدعوة أو الحركة ثورة عربية ضد الحكم العثماني؟

يقول ابن بشر: إن الشيخ محمدًا عندما قابل الأمير عثمان بن معمر قال له: «إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله ملكت نجدًا وأعرابها». والمقصود بنجد هنا حاضرتها، وأعرابها باديتها. ولقول الشيخ مدلولان واضحان، الأول أنه - وهو الذي تدل تصرفاته عبر مسيرة عمره الطويلة على أنه مستوعب للتاريخ - كان يدرك ما قد يدور في خَلَد الأمراء من سؤال حول المردود المادي من وراء وقوفهم مع الدعوة وتضحيتهم المحتملة من أجلها. والمدلول الثاني أن الشيخ كان يرى حينذاك أن مجال تحركه هو منطقة نجد، وذلك أنها لم تكن خاضعة للدولة العثمانية التي تُخْشَى سطوتها. ومما يوضح أن الدولة السعودية التي تبنت دعوته كانت تعتقد أن تحركها العسكري لم يتعرض لمناطق خاضعة للعثمانيين أن سعودًا بن عبدالعزيز (ت ١٢٢٩هـ/١٨١٤م) خاطب علي باشا ، مساعد والي بغداد، الذي غزا الأحساء وطالب السعوديين بالتخلي عنها، قائلًا: «إن الحسا بلدة لم تكن تابعة للروم»، أي للأتراك العثمانيين. وبالتالي فَأَخْذُ السعوديين لها لم يكن انتزاعًا لمنطقة تابعة للعثمانيين. والثابت أن قادة الدولة السعودية الأولى غزوا العراق والشام، وهما ولايتان عثمانيتان، فكيف يقال إنهم لم يتعرضوا لمناطق نفوذ عثمانية[١٩] ؟

أما إجابة العثيمين عن الشق الثاني من التساؤل السابق، وهو: هل كانت هذه الدعوة أو الحركة ثورة عربية ضد الحكم العثماني؟ فهي: المتتبع لأدبيات الشيخ وتلاميذه لا يرى أنهم طرحوا فكرًا قوميًا عربيًا على الإطلاق، ولا نادوا بتوحيد العرب على أساس أنهم أمة واحدة وإن اختلفت أقطارها[٢٠].

أصدر العثيمين كتابًا جديدًا في عام ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩ [٢١] أعاد فيه نشر مبحث من رسالته وعنوانه: مصادر عن حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وفكره، وأضاف إليه مبحثين آخرين، هما: ابن غنام مؤرخًا لابن عبدالوهاب والدولة السعودية الأولى، وكتابات رحالة ومستشرقين عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(١٨) تأملات في الفكر والتاريخ، ص١٦
(١٩) تأملات في التاريخ والفكر، ص٢١
(٢٠) تأملات في التاريخ والفكر، ص٢٦
(٢١) مراجعات في مصادر التاريخ السعودي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية

يقدم العثيمين في توطئته للمبحث الأول إحدى خلاصات دراساته، وهي: يمكن أن يقال: إن وجود الدولة السعودية الحديثة ... المملكة العربية السعودية ... - بدرجة كبيرة - ثمرة من ثمار تلك الحركة التي بدأها الشيخ محمد بن عبدالوهاب عند منتصف القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. فقد كان اعتناق الحكام الأوائل من آل سعود لدعوته، واستعدادهم للدفاع عنها بالسيف سببًا لانتشار الدعوة ونجاحهم في مد نفوذهم والمحافظة عليه في أكثر أجزاء الجزيرة العربية[٢٢].

وفي دراسة للعثيمين بعنوان «الحركة الوهابية ومحاولة توحيد جزيرة العرب» تحدث عن نوعية ومستوى التعليم السائد في نجد قبل وعند قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بحركته، فقال: وكان المذهب الحنبلي هو السائد في نجد منذ القرن الرابع عشر الميلادي (الثامن الهجري). ولم يكن غريبا أن يجد هذا المذهب أرضًا خصبة في هذه المنطقة، فهو أقرب المذاهب السنية الأربعة إلى ظاهر نصوص القرآن والحديث، وهو بهذه الصفة يمثل البساطة إلى حد ما. وكانت البساطة محببة إلى الفرد النجدي، الذي كان أقل إخوانه من عرب الجزيرة العربية تأثرًا بالخارج. ولقد عانى أئمة هذا المذهب، كأحمد بن حنبل وابن تيمية، الشيء الكثير في سبيل ما كانوا يؤمنون به. وفي ذلك ما فيه من بطولة، وكان إعجاب النجديين بالبطولات أمرًا واضحا[٢٣].

ويشرح الأسباب والظروف التي مكنت الحركة الإصلاحية من النجاح، منها: أن نجدًا أنسب مكان لقيام مثل تلك الحركة ونجاحها، ذلك أن اعتناق حاضرتها للمذهب الحنبلي، وعدم رسوخ الصوفية لديهم، مما يرجح استجابتهم لداعي الإصلاح الديني أكثر من غيرهم. وكان بُعْدها عن متناول اية سلطة مركزية قوية، خاصة بالنسبة للدولة العثمانية، مما يهيئ فرصة وقوف الحركة الإصلاحية على قدميها قبل أن تمتد إليها قوى تقضي عليها في مهدها. ومع أن عدم توحدها كانت له سلبياته فإنه كان يحتوي على بعض الإيجابيات. ذلك أن الخلاف بين قبائلها وإماراتها قد يتيح لها، حين تفشل في مكان معين، أن تجد نجاحًا في مكان آخر غير بعيد عنه لأن الخلاف بين صاحب المكان الأول والثاني قد يدفع الأخير إلى الترحيب بمن رفضه الأول. وكان أن أتت الحركة ونجحت على يدي الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٢٤].

وفي تحليله لموقف كل من بني خالد في الأحساء والأشراف بمكة من الحركة الإصلاحية عند قيامها ثم انتشارها، وأكتفي هنا بذكر موقف الأشراف: لقد عارض الأشراف الحركة

(٢٢) مراجعات، ص١٣
(٢٣) العثيمين، عبدالله، بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص١٨
(٢٤) بحوث وتعليقات، ص١٩

الوهابية منذ بداية ظهورها، لكن معارضتهم اقتصرت على الناحية المعنوية ولم تتجاوزها إلى أي إجراء مادي. فقد أفتى علماء مكة بانحراف محمد بن عبدالوهاب عن الدين الصحيح، ومنعوا أتباعه من الحج سنين طويلة، لكن أشراف الحجاز لم يقوموا بأي غزو عسكري لنجد إلا بعد مرور أكثر من أربعين سنة على قيام دولة الدرعية الجديدة. والأسباب التي دعت إلى تأجيل تدخلهم غير واضحة. لكن يبدو أنهم كانوا يظنون أن المعارضة المحلية في نجد، بمساعدة بني خالد، ستكفيهم مهمة القضاء على الحركة الوهابية. وحين انهارت المعارضة النجدية وأوشكت الأحساء ذاتها على الدخول تحت حكم الدرعية أدرك أشراف الحجاز أنه لا بد من التدخل العسكري لئلا يمتد نفوذ الدولة النجدية إلى بلادهم. وبدأوا غزوهم لها عام ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، لكنهم فشلوا في هجومهم على نجد، ثم فشلوا بعد ذلك في دفاعهم عن الحجاز، ولعل مما زاد موقفهم حرجًا انضمام قبائل عسير إلى دولة الدرعية[٢٥].

وفي دراسة له عن «الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبدالوهاب» يتجلى في كثير منها منهجه النقدي واستيعابه التام لمنهج الشيخ محمد وأساليبه في كتاباته، وانصب نقده على بعض الرسائل التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ضمن مؤلفات الشيخ، منها الرسالة التي يقال إن الشيخ أرسلها إلى عالم من أهل المدينة، ويلاحظ عليها: أنها لم ترد في كتاب «الدرر السنية» الذي يحفظ معظم؛ إن لم يكن كل رسائل الشيخ، ولم يذكر اسم العالم الذي أُرسلت إليه. ومن غير المرجح أن يرسل الشيخ رسالة إلى عالم من علماء المدينة دون أن يذكر اسمه. وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم ينص فيها على أنها من الشيخ. والمتتبع لرسائل الشيخ محمد يرى أنه يبدؤها بعبارة: «من محمد بن عبدالوهاب إلى فلان بن فلان». لكن هذه الرسالة لا تبدأ بمثل هذه العبارة، وإنما تبدأ بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب الشيخ المعتاد[٢٦].

لكن؛ بالرغم من أن التمسك بالأصالة والبساطة كان الصفة الغالبة في الشيخ، فإنه كان، فيما يبدو، على استعداد للتنازل قليلًا عن هذا التمسك إذا كان يظن أن في التنازل مصلحة عامة لدعوته. فهو - مثلا - كان يدرك مكانة علماء مكة ومدى تأثيرهم سلبًا أو إيجابًا في مسيرة الدعوة، ولذلك خرج أسلوبه في رسالته إليهم عن أسلوبه المعتاد في كثير من رسائله، فجاءت ديباجتها مشتملة على نوع من السجع المتكلف:

«من محمد بن عبدالوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام. نصر الله بهم سيد الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام ...»[٢٧].

(٢٥) بحوث وتعليقات، ص٢٧
(٢٦) بحوث وتعليقات، ص٣٥
(٢٧) بحوث وتعليقات، ص٣٩

وإذا كان المتأمل في أسلوب الشيخ يرى تمسكه بالأصالة والبساطة فإنه يلاحظ من خلاله ذكاءه ومحاولة الاستفادة من كل ما يراه مفيدًا لمصلحة دعوته. فعندما رغب في كسب أهل منفوحة والرياض عن طريق قاضي الدرعية فإنه يصفه برسالته إليهم:

«إن عبدالله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجلَّ منه». لكنه سبق أن خاطبه، عندما كان معارضًا له، برسالة يقول فيها:

«أنتم ومشائخكم لم يفهموا دين الإسلام، ولم يميزوا بين دين محمد صلى الله عليه وسلم ودين عمرو ابن لُحَيّ»[٢٨].

ولفهم التحديات الخارجية التي واجهت الدولة السعودية الأولى عند قيامها، قام العثيمين بدراسة عنوانها «علاقة حكام الأحساء بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والدولة السعودية الأولى» بين فيها أن معارضي دعوة الشيخ محمد الإصلاحية من أهل نجد، خاصة العلماء منهم، قاموا بكتابة رسائل للعلماء في الأحساء والبصرة وبلاد الحرمين يحرضونهم على الشيخ ويبينون مآخذهم على ما يدعو إليه، وهذه الكتابات أثمرت في الأحساء حيث أوضح علماؤها للحاكم سليمان بن محمد بن غرير الخالدي أن من واجبه أن يتدخل للقضاء على حركة الشيخ قبل أن يستفحل أمرها، كما أفهموه أن مما ينادي به الشيخ محمد: ثورة العامة على حاكمهم. وكسب المعارضون حاكم الأحساء إلى جانبهم[٢٩]. ولما كان لحاكم الأحساء في ذلك الوقت من إمكانات عسكرية واقتصادية، ولما له من نفوذ قوي على عثمان ابن معمر، تمكن من الضغط على ابن معمر حتى يُخْرِجَ الشيخ محمدًا من بلده، فاضطر الشيخ محمد إلى الانتقال إلى الدرعية والتحالف مع أميرها محمد بن سعود سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م.

وبعد أكثر من نصف قرن تغير ميزان القوى لصالح الدولة السعودية الناشئة، ودب الضعف في دولة بني خالد بالأحساء نتيجة الصراعات الأسرية على الحكم، وبدأت الدولة السعودية تأخذ بالمبادرة بالهجوم على مناطق نفوذ بني خالد في منطقة الأحساء حتى ضموها في النهاية إلى حكمهم سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، ومما نتج عن ذلك أن بدأت الجهات الخارجية التي لها مصالح في منطقة الخليج العربي تقيم وزنًا لحكام الدرعية أكثر من ذي قبل. وأصبحت الدولة السعودية لها حدود مع إمارات الخليج، ومع الدولة العثمانية ممثلة في باشوية بغداد، فزادت خطورتهم في أعين العثمانيين، وأخذوا يحثون واليهم على بغداد ليقوم بمحاربة الدرعية.

ومن النتائج المهمة لاستيلائهم على الأحساء أن أصبحوا يمتلكون موانئ على الخليج وبإمكانهم استيراد ما يريدون استيراده من بضائع، كما جنى أتباعهم كثيرًا من الأرباح نتيجة

(٢٨) بحوث وتعليقات، ص٤٠

(٢٩) العثيمين، محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص٤٢

الغوص واستخراج اللؤلؤ. يضاف إلى كل ما تقدم أن منطقة الأحساء أرض خصبة زاد إنتاجها خزينة الدولة السعودية غنى وأمدها بثروة كبيرة[٣٠].

بعد أن أمضى العثيمين سنوات طويلة في تدريس تاريخ الدولة السعودية بأدوارها الثلاثة لطلاب الجامعة، وشارك في المؤتمرات العلمية والمنتديات الثقافية، وأمضى كذلك سنوات في البحث والتدقيق والمراجعة في الموضوع ذاته، أدرك أنه صاحب رسالة ويجب عليه ألا يقصر جهده العلمي على البحث للنخبة من العلماء والباحثين؛ بل عليه أن يوجه كتابته لشريحة واسعة، وأن يتخفف من ثقل المنهج العلمي ويقرب لهم المعلومة التاريخية بلغة سلسة وبأسلوب شائق، ويأتي في طليعة الفئات المستهدفة: طلاب المرحلة الجامعية، وأي قارئ مثقف غير مختص بالتاريخ، فألف كتابًا من جزئين عنوانه: «تاريخ المملكة العربية السعودية»[٣١] خصص الجزء الأول لتاريخ الدولتين السعودية الأولى والثانية، والجزء الثاني: تاريخ المملكة العربية السعودية؛ بدءًا من تأسيسها وحتى وفاة الملك عبدالعزيز رحمه الله (١٣٧٣هـ/١٩٥٣م). ودرسها من التأسيس والتوحيد والتطور في جميع المجالات. ولا أدل على نجاح هذا الكتاب وسعة انتشاره أن تجاوز عدد طبعاته ست عشرة طبعـــة، ولا أظن أن كتابًا بالمملكة حظي بمثل ما حظي به من إقبال وتكرار طبعات.

وللتاريخ العسكري نصيب طيب من أبحاث المؤرخ العثيمين فقد ألف دراسة قيمة عنوانها: «في التاريخ العسكري للدولتين السعوديتين الأولى والثانية»[٣٢]، على أنه خص «معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد البلاد»[٣٣] بكتاب أبدع فيه من جميع النواحي، وتتبع إنجازات الملك عبدالعزيز، رحمه الله، العسكرية من أول معاركه التي استولى فيها على الرياض سنة ١٣١٩هـ وحتى آخر حروبه التي كانت على جبهة اليمن ما بين سنتي ١٣٥٢-١٣٥٣هـ من حيث التخطيط الاستراتيجي، والتكتيك الحربي واختياره التوقـــيت والمكان، وسياسـته في اختيار القـــادة، وفي استقطاب المحاربين ورعايتهم، وشهامته ومروءته في إكرام خصومه المهزومين قادة وأفرادًا، وتألفه لهم بحيث لم يلبثوا أن يتحولوا إلى أشد الناس حبًا وإخلاصًا له. كل ذلك انعكس في هذا الكتاب مادة وأسلوبًا ومنهجًا، وزوده المؤلف بخرائط ملونة ودقيقة لكل معركة، وأسلوبه سلس وشائق.

وامتدادًا لدراساته السابقة توسع من الناحية الجغرافية والموضوعية فألف كتابًا عن «نشأة إمارة آل رشيد» صدر في طبعته الأولى عام ١٤٠١هـ عن جامعة الملك سعود. وقد لقي الكتاب صدى طيبًا لدى القراء، وبعضهم أمدَّ المؤلف بمعلومات أو ملاحظات إضافية

(٣٠) العثيمين، محاضرات وتعليقات، ص٥٣

(٣١) الناشر المؤلف، الرياض، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م

(٣٢) تأملات في التاريخ والفكر، ص ص ٣٣-٦٠

(٣٣) الناشر المؤلف، الرياض، ١٤١٥هـ/١٩٥٥م

وعبروا له عن تقديرهم، فصَدَّر الطبعة الثانية قائلًا: «وقد دفعني ذلك التشجيع، وهذا النقد إلى مزيد من البحث والاستقصاء، أملًا في المحافظة على حُسْن ظن من أحسن بي الظن بتشجيعه أو نقده. ونتيجة لذلك أعدتُ كتابة الدراسة إعادة كاملة حسب ما اقتضته ظروف البحث الجديدة»[٣٤].

وأصل إمارة آل رشيد تعود لتعيين الإمام فيصل بن تركي (ت١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) أحد أكفأ قواده، وهو عبدالله بن علي بن رشيد، أميرا على جبل شمَّر سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م. وكان عبدالله في الأصل من حائل، وكان هو وأخوه عبيد ينافسان أميرها صالح بن عبدالمحسن آل علي، التابع للإمام تركي بن عبدالله (ت: ١٢٤٩هـ/١٨٣٤م) وعلى خلاف معه، وأدى هذا الخلاف إلى أن يَجْلُوَ عبدالله وأخوه عبيد وأسرتهما من حائل ووفدا على الإمام تركي، وأصبح صديقًا حميمًا لابنه فيصل، وقائدًا من قادة جيشه[٣٥] أخذت سلطة عبدالله تنمو حتى صارت الإمارة في عهد وريثه الثاني مستقلة ثم منافسة للدولة السعودية. ومرت إمارة آل رشيد بفترات صعود حتى سيطرت على معظم نجد، ثم فترة هبوط انتهت بنهاية الإمارة ودخول منطقة حائل في منظومة المملكة العربية السعودية سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م.

تعد دراسة العثيمين هذه رائدة من حيث منهجه ومصادره وتحليلاته؛ فقد اعتمد على الروايات الشفهية لكثير من الرواة ذوي العلاقة المباشر أو القريبة من الأحداث، كما وظف نصوص الشعر الشعبي، وهو أول من قام بذلك، فيما أعلم، بحيث أثرت بحثه. أما تحليلاته فتتصف بالعمق وفهم خلفيات الأحداث وبيئاتها ومسبباتها وتحريه الحقيقة ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، ولا غرو في ذلك؛ فقد حصل هذا الكتاب في طبعته الأولى على جائزة مجلس التعاون لدول الخليج العربية في أولى دوراتها كأفضل كتاب أُلِّف في العلوم الاجتماعية (في حقل التاريخ) عند صدوره.

وللعثيمين دراسة بعنوان «حائل في ذاكرة التاريخ القريب»[٣٦] غلب عليها جانب التاريخ السياسي وهو موضوع اهتمام المؤلف، وبحذره المعهود حدد نهاية دراسته بنهاية عهد طلال العبدالله الرشيد، وقال: «إن ما بعد هذه الفترة مما لا يستطيع مثلي العوم فيه دون تعريض نفسه لأمواجه المضطربة»[٣٧]. وأفاد المؤلف كثيرًا من الشعر الشعبي بوصفه مصدرًا لمعلوماته، ومن مصدري تاريخ الدولة السعودية الرئيسيين: ابن غنام وابن بشر،

(٣٤) نشأة إمارة آل رشيد، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص٥

(٣٥) محاضرات وتعليقات، (حائل في ذاكرة التاريخ القريب)، ص١١٥

(٣٦) محاضرات وتعليقات، ص ص ١٠٩-١٢٥، وهي في الأصل محاضرة ألقاها المؤلف مساء يوم الثالث من رجب سنة ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، في المركز الثقافي بحائل ضمن نشاط نادي الطائي.

(٣٧) محاضرات وتعليقات، ص١١٠

واثنين من الرحالة. ويذكر العثيمين - اعتمادًا على حمد الجاسر - أن أول ذِكْر لحائل كان لمسافر اسمه السيد عباس المكي الحسني الموسوي سنة ١١٣١هـ/١٧١٩م، مر بها وتغنى بها نثرًا مشيدًا بجمال نخيلها وطيورها وأزهارها وكل شيء فيها «وكأنها روضة من رياض الجنة». أما أهلها فوصفهم بأنهم عرب كرام شمل كرمهم الخاص والعام، لا تلقى فيها غير شجاع عظيم، وجواد كريم[٣٨].

ولا بد أن تاريخها يعود لفترة طويلة جدًا قبل هذا التاريخ، وقد ورد ذكر لها في كتب السيرة وغيرها، ولكن ليس على أنها بلدة في ذلك الوقت.

تحدث العثيمين بصورة موجزة عن أمراء آل علي السابقين لآل رشيد. أما المدينة نفسها فقد جاء على ذكرها اقتباسًا من الرَّحّال الفنلندي جورج أوغست والين Georg August Wallin الذي زار حائل مرتين في أواخر عهد الأمير عبدالله بن رشيد، وكان معجبًا بالأمير ومنصفًا في حديثه عن شخصيته. وذكر (والين) أن سكان البلدة (حائل) يتكونون من مائتي وعشر أسرات ،في حين ذكر أن سكان قِفار يتكونون من خمسمئة أسرة. وقدر (والين) سكان بلدان غير ذات شهرة كبيرة بما يقرب من سكان حائل، مثل تقديره لسكان المستجدة بمئتي أسرة، وتقديره لسكان جُبَّة بمئة وسبعين أسرة[٣٩]. ولما زار الرحالة الإيطالي كارلو جوارماني Carlo Guarmani بلدة حائل في أواخر عهد طلال العبدالله الرشيد[٤٠] قدر سكانها بسبعة آلاف وخمسمئة نفس، وقدر سكان قفار بثمانية آلاف وخمسمئة نفس[٤١]. ومع أن عدد سكان حائل قد ارتفع بشكل ملحوظ مقارنة بسكان قفار مثلا خلال عهد طلال، فإن تقدير (والين) يظل مصدر غرابة لأنه يتزامن مع فترة عزَّ الأمير عبدالله بن رشيد، ولعله تقدير أقل من الواقع[٤٢].

لم يتوقف العثيمين في هذه الدراسات عند إمارة آل رشيد ومقر حكمهم حائل؛ وإنما استمر يتابع ما ينشر من أبحاث عن الموضوع نفسه؛ سواء كانت دراسات شاملة عن إمارة آل رشيد أو تناولت جانبًا منها، وكان أهمها ثلاثة كتب، كتب عنها العثيمين دراسات نقدية اتسمت بالثراء والموضوعية، وشكلت هذه الدراسات الثلاث كتابا بعنوان:

(٣٨) محاضرات وتعليقات، ص١٠٩

(٣٩) محاضرات وتعليقات ص١١٩ وصل الرحالة الفنلندي جورج أوغست والين إلى حائل في ٢١ سبتمبر ١٨٤٥م(١٢٦٢هـ) ووصف عبدالله بن رشيد بأنه أهم شيخ بدوي في وسط الجزيرة العربية. كاي أورنبري، عاشق الصحراء جورج أوغست والين، ترجمة مارية الهلالي، الرياض، دار الفيصل، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨، ص٣٢

(٤٠) وصل جوارماني حائل قادما من بريدة في ١ أبريل ١٨٦٤م (ذو الحجة ١٢٨٠هـ) وأقام بها أكثر من شهر وكان محل الحفاوة من الأمير طلال العبدالله الرشيد. أنظر ترجمة رحلته: نجد الشمالي، ترجمة أحمد أبيش، أبو ظبي، أبو ظبي للثقافة والتراث، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ص٧٤-٨٩

(٤١) جوارماني، ص ص١٣٢-١٣٣

(٤٢) محاضرات وتعليقات، ص١١٩

«قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد»، وضم الكتاب «السياسة في واحة عربية: إمارة آل رشيد» تأليف الدكتور مضاوي الرشيد، وترجمة الأستاذ عبدالإله النعيمي، و «إمارة آل رشيد في حائل» تأليف الأستاذ محمد الزعارير، و «عبدالعزيز بن رشيد والحماية البريطانية»، تأليف الدكتور محمد الثيان.

كان العثيمين مهذبًا متواضعًا في نقده فلا يظهر استعلاء على من ينتقد أو تسفيهًا له، أو تضخيمًا لما في العمل المنقود من قصور أو أخطاء. أنقل مثالاً واحدًا: ففي نقده لكتاب الدكتور محمد الثيان «عبدالعزيز ابن رشيد والحماية البريطانية»، يقول: «ودراسة أخي وزميلي محمد الثيان جديدة في استقصاء تفاصيل موضوعها، جيدة في توثيقها، حسنة في أسلوبها، وكل هذه الصفات ليست غريبة على كتابة باحث مثله، وهي ما تجعل لما يكتبه قيمة واضحة لدى المهتمين بالدراسات التاريخية الحديثة عن هذه البلاد.

وما سأقوم به في هذه القراءة لكتابه مزيج بين إثارة التساؤلات، إضافة إلى التساؤلات التي أثارها في دراسته، وإبداء وجهة نظر قابلة للنقاش، وإعطاء معلومات إضافية قد تزيد من إيضاح بعض المسائل»[٤٣]. والعثيمين لا يداهن ولا يجامل في قول ما يراه الحق لكن بأسلوب مهذب.

وللعثيمين بحث بعنوان: «الشعر النبطي مصدرًا لتاريخ نجد»[٤٤]، أما دافعه للبحث في هذا الموضوع فيشرحه أنه مضت عدة قرون قبل ظهور حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والمعلومات المدونة في المصادر التاريخية عن نجد تكاد تكون نادرة، والإشارات العابرة التي وردت عنها في تلك المصادر غير متصلة. وبعد قيام حركة الشيخ كُتب عن هذه المنطقة الشيء الكثير وإن كان غير وافٍ من بعض الوجوه. وعلى هذا الأساس فإنه لا بد للباحث من استعمال جميع الوسائل الممكنة التي تسهم في رسم صورة واضحة لتاريخ هذه البلاد، ووَصْل ما انقطع من سلسلة الأحداث فيها طيلة القرون السابقة، وإكمال ما هو ناقص من بعض الوجوه في الكتابات التي دونت بعد قيام تلك الحركة[٤٥].

ويشرح كيفية توظيف الشعر النبطي بوصفه مصدرًا للمؤرخ: يمكن استخدام الشعر النبطي في دراسة العصور التي سبقت قوله، كما يمكن استخدامه في دراسة العصر الذي قيل فيه. وتجدر الإشارة إلى كيفية الاستفادة منه في المجال الأول، وإن كان المقصود في هذا البحث المجال الثاني[٤٦].

(٤٣) قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد، الرياض، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٣٧

(٤٤) ألقي ونشر ضمن أبحاث الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة العربية في: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، جامعة الرياض (الآن: جامعة الملك سعود)، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص ص٣٧٧-٣٩٦

(٤٥) مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ٣٧٧/١

(٤٦) مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ٣٧٩/١

ويستفاد من الشعر النبطي الشيء الكثير في محاولة فهم ما قد يكون غير واضح من عادات وتقاليد ومعرفة الشخصية العربية، نظرًا لأن الحياة الاجتماعية، كما قلنا، لم تتغير إلا حديثًا.

من شعراء النبط الذين تحدثوا عن بعض القوى المعاصرة لهم في نجد: راشد الخلاوي الذي أشار إلى زعيم يقال له: أبو سالم كان له نفوذ في وادي حنيفة، كما أشار إلى أن جَوّ الثُّلَيْماء كان من الموارد التي ترتادها الظَّفِير ولام (فرع من قبيلة طيئ) وفئات من عُقَيْل[٤٧].

وقد شهدت بعض المناطق النجدية نفوذًا لأجود بن زامل حاكم الأحساء حتى وصف بأنه رئيس نجد ورأسها. وكان من أمراء هذه الدولة الجبرية فتى يقال له: مقرن، مدحه عدد من شعراء نجد المعاصرين له، ومما قاله أحدهم، وهو جُعَيْثن اليزيدي:

ولا قيت بعد السير، يا ناق، مقرن ... وقابلت وجها فيه للحمد شاهد
نشا بين سيف والغريري زامل ... فيالك من عم كريم ووالد
وبين أجود سلطان قيس وركنها ... عن الضيم أوفي المعضلات الشدايد
حمى بالقنا هجر إلى ضاحي اللوى ... إلى المعارض المنقاد نابي الفرايد
ونجد رعي ربعي زاهي فلاتها ... على الرغم من سادات لام وخالد
وسادات حجر من يزيد ومزيد ... قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد

وكلام جُعَيْثن يدل على أمرين: أحدهما ما أشير إليه من نفوذ لدولة آل أجود (الجبور) في نجد، والثاني أن من بين القوى النجدية آنذاك: قبيلتي بني لام وبني خالد[٤٨].

ومن النصوص الشعرية الجمّة التي أوردها العثيمين لشعراء كثيرين في أزمنة متعاقبة وأماكن مختلفة من نجد، التي وَصَفت أو أرَّخت أحداثًا ووقائع لا نجد لها ذكرًا في غير هذه الأشعار، وبعضها قد يكون له إشارات عند المؤرخين؛ ولكن الأشعار تجلو جوانب أخرى من هذه الأحداث والوقائع.

تشرفت بزمالة عبدالله العثيمين في المرحلة الجامعية في جامعة الملك سعود بالرياض، وفي مرحلة الدكتوراه كان هو في جامعة أدنبره Edinburgh، وأنا في جامعة سينت أندروز St. Andrews في اسكوتلندا Scotland، وإن كان يسبقني بسنتين في كلتيهما، وفي التدريس بقسم التاريخ بجامعة الملك سعود حتى تقاعد هو قبلي. والغرض من ذكر هذا هو أن أقدِّم شهادتي بأن عبدالله العثيمين رحمه الله كان مثالا للعالم المخلص

(٤٧) مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ٣٨٠/١

(٤٨) مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ٣٨٢/١

في عمله في أثناء تدريسه لمقررات تاريخ المملكة العربية السعودية، وفي إشرافه على رسائل طلاب الماجستير والدكتوراه وهم كثر، وفي مناقشته لرسائل الطلاب الآخرين. وكان يحرص جدًا على أن تكون موضوعاتهم جديدة، وأن يطبقوا المنهج التاريخي في أبحاثهم بصرامة، كما يؤكد بشدة على الأمانة العلمية، وكان محببًا جدا لطلابه يتعامل معهم كزميل. وكان معطاءً؛ فكثير من الباحثين ممن لا تربطهم به صلة سواء من الجامعات الأخرى أو من الباحثين الآخرين يأتون إليه وينتظرون عند باب مكتبه، ويسألوني لأن مكتبي بجوار مكتبه: وين الدكتور عبدالله؟ متى يجي؟ لأنه يعينهم على اختيار موضوعات رسائلهم، أو يقرأ لبعضهم فصولًا من أبحاثهم ويوجههم، أو يسألونه عن مخطوطات ومصادر وغيرها.

العثيمين إلى جانب كونه أستاذًا جامعيًا لامعًا، هو باحث متمكن ورصين نشر أبحاثا كثيرة، أكثرها في مجال تخصصه وهو تاريخ المملكة العربية السعودية منذ قيام الدولة السعودية الأولى، وله مشاركات فاعلة وعديدة في المؤتمرات العلمية وفي المنتديات الثقافية. وكُتُبه التي ألَّفها في التاريخ نوعان، النوع الأول: يكون موضوعها واحدًا، والنوع الثاني جمع فيها أبحاثه في المجلات العلمية ومحاضراته في المراكز العلمية والثقافية ومراجعاته للكتب، وبعض موضوعات نشرها في مجلات سيارة.

حقق العثيمين عددًا من مصادر تخصصه في التاريخ، وتميزت تحقيقاته بالضبط والدقة والتقصي، ووظف قدراته العلمية والمنهجية وغيرها في تعليقاته. كما ترجم عن الإنجليزية عددًا من الكتب، وهي كذلك ذات علاقة وطيدة بتخصصه، وأجاد فيها لإجادته اللغتين، ولكونه يملك أسلوبًا قويًا وسلسًا فجاءت الترجمات كأنها أُلِّفت بالعربية أصلا.

العثيمين شاعر قدير بالفصحى والعامية، وهو مهموم جدًا بشؤون أمته العربية والإسلامية والشأن العام المحلي، ويستخدم شعره ومشاركاته في الصحافة المحلية ليعبر عن مشاعره ورؤاه ونقده للوقائع والظواهر الإيجابي منها والسلبي.

وفيما يلي سوف أقدم قائمة بمؤلفاته في التاريخ، أما تحقيقاته وترجماته فسيتحدث عنها زملاء آخرون فلن أذكرها هنا، وكذلك أعماله الشعرية والثقافية:

- الشيخ محمد بن عبدالوهاب: حياته وفكره

Muhammad ibn Abd al-Wahhab: The Man and his Works London, I.B. Tauris, 2009

- تاريخ المملكة العربية السعودية (جزءان)
- معارك الملك عبدالعزيز المشهورة لتوحيد المملكة
- مراجعات في مصادر التاريخ السعودي

- نجد قبيل ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب
- العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت
- بحوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية
- محاضرات وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السعودية
- تأملات في التاريخ والفكر
- نشأة إمارة آل رشيد
- قراءة في دراسات عن إمارة آل رشيد
- الشعر النبطي مصدرًا لتاريخ نجد (بَحْث نُشِر في الجزء الأول من كتاب: مصادر تاريخ الجزيرة العربية)

رحم الله المؤرخ الجليل عبدالله بن صالح العثيمين رحمة واسعة لقاء ما قدم لأمته من علم نافع، وأعمال صالحة كثيرة.

عبدالله العُثَيْمِين مُحَقِّقًا

أ. د. أيمن فؤاد سيد

أستاذ بجامعة الأزهر - القاهرة

ترجعُ صِلَتِي بالأستاذ الدكتور عبدالله العُثَيْمين، رَحِمَهُ الله، إلى ما بعد تخرُّجي في جامعة القاهرة بقليل حيث كان أوَّلُ لقاءٍ لنا عندما دُعيت إلى حضور النَّدْوَة العالمية الأولى لتاريخ الجَزِيرَة العربية التي نظَّمتها جامعةُ الرِّياض في أبريل ١٩٧٧م، وتوالَت بعد ذلك لقاءاتُنا في العديد من النَّدوات والمؤتمرات العلمية، في عَمَّان وتونس والقاهرة والرِّياض ..... وكان آخرُ لقاء جمعني به عندما دعاني الأخ الصَّديق مَعْن حَمَد الجاسر - حَفِظَهُ الله - ومجموعة من الأصدقاء، بينهم الراحل العزيز الأستاذ الدكتور عبدالله، رَحِمَهُ الله، إلى العشاء عندما دعيت أستاذًا زائرًا في قسم التاريخ بجامعة الملك سُعُود بالرِّياض، في ديسمبر ٢٠١٢م، ثم التقيت به في مرضه الأخير في إحدى زياراتي لمؤسَّسة الملك فيصل الخيرية، في يناير ٢٠١٥م.

وطوال هذه الفترة كنا نَتَعَرَّف أخبار بعضنا بعضًا، ويتابع كُلٌّ منا نشاط الآخر باعتبارنا جميعا نعمل في حقل الدراسات التاريخية؛ وكان، رَحِمَهُ الله، عضوًا ناشطًا في اتحاد المؤرِّخين العرب بعد انتقاله إلى القاهرة سنة ١٩٩٢م.

لذلك، عندما طلبت منِّي أمانَةُ جائزة الملك فيصل العالمية أن أشارك في الندوة العلمية التي تُقيمُها المؤسسة احتفاءً بذكرى الأمين العام السَّابق للجائزة، وافَقَ ذلك هوًى في نفسي لأعَبِّرَ عن تقديري لشخص الدكتور عبدالله العُثَيْمِين، رَحِمَهُ الله، الذي كنت أكِنُّ له مَحبَّة وتقديرًا كبيرًا.

فقد قام الدكتور عبدالله العُثَيْمين بدورٍ مهم في نشر المصادر الأولى التي تؤرِّخُ لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب وقيام الدَّوْلَة السُّعُودية الأولى في نَجْد في شرق الجَزِيرَة العربية، وما أحاطَ بهذه الدَّعْوَة من مُلابَسات؛ منذ أنْ كان موضوعُ دراسته العليا في جامعة أدِنْبرَة في اسْكُتْلَنْدا، سنة ١٩٦٦م،عن الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب.

وتتطلَّب دراسة قيام هذه الدَّوْلَة، وتطوّرها، وما آلت إليه، الوقوف على الأوضاع الدِّينية والاجْتماعيَّة والسِّياسيَّة التي كانت سائدَة في إقليم نَجْد شَرقي الجَزِيرَة العربية حيث نشأت الدَّوْلَة، أو في الأقل البيئة الأولى لهذه الدَّوْلَة وأحوالها.

وكذلك الوقوف على الدَّعْوَة السَّلَفيَّة وقيادتها، وهي الدَّعْوَة التي قام الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب بنشرها، والجهود التي قام بها آلُ سُعُود الذين ناصروا دَعْوَتَه لتوحيد إقليم نَجْد وإخضاعه لسيطرتهم، وكذلك المناطق المجاورة.

وكانت مبادئ الدَّعْوَة السَّلَفيَّة التي دعا إليها ابن عبد الوهَّاب أسبق في الوصول إلى المناطق التي فتحها آل سُعُود، وأدت دورًا كبيرًا في إخضاعهم هذه المناطق وضَمِّها.

وعندما اكتمل دَوْرُ الدَّوْلَة ونُظُمُها وعَلاقَاتُها الخارجية، في طورها الأخير، تربَّصَت بها القوى العالمية المعاصرة التي كان لها اهتمامٌ بالخليج، حتى إنَّ وثائق الأرْشِيف المصري تُثْبِتُ بوضوح مُبارَكَة شاه إيران الشِّيعِي نجاح محمد علي باشا السُّنِّي في تحطيم هذه الدَّوْلَة والقضاء عليها!

وتُوَضِّحُ الوَثائقُ، التي يحتفظ بها الأرْشِيفُ المصري، كذلك مدى انْزِعاج الدَّوْلَة العُثْمانية من هذه القوة العربية الناهضة، والخطَط التي وضعها وُلاتُها في مصر والشَّام والعراق، والاتِّصالات التي تمَّت مع شَرِيف مَكَّة من أجْل القضاء عليها.

فقد أزْعَجَ التَّوَسُّعُ السُّعُودي الدَّوْلَة العُثْمانية، وفاقم هذا الانْزعاج إعْلانُ آل سُعُود زوال السيادة العُثْمانية على الحَرَمَيْن. فكان لا بد للدَّوْلَة العُثْمانية من استرجاع سيادَتها على الحَرمَيْن لاسترداد هيبتها في العالم الإسلامي ، فلجأت إلى محمد علي باشا - والي مصر- لتنفيذ هذه المهمة التي سبق أن أخفق فيها أو تَقاعَس عنها، كُلٌّ من والي بغداد ووالي دمشق. وهَدَفَت من وراء ذلك إلى القضاء على الدَّوْلَة السُّعُودية التي أصبحت تمثل خطرًا يُهَدِّدُ سمعتها في العالم الإسلامي، وكذلك إضعاف والي مصر الطَّمُوح محمد علي باشا باستنزاف موارده في هذه الحرب.

بلغت هذه الدَّوْلَةُ ذُرْوَة مجدها في عهد الإمام سُعُود بن عبد العزيز المعروف بسُعُود الكبير (١٢١٨-١٢٢٩هـ/١٨٠٣- ١٨١٤م)، ثم دخلت بعد ذلك في دَوْرِ انهيارها الذي تم في عام (١٢٣٣هـ/١٨١٨م) على يد الجيوش المصرية بناء على دَعْوَة السُّلْطان العُثْماني، و بدأت باسترداد الحجاز من آل سُعُود عن طريق حملة طُوسُون باشا، ثم حملة إبراهيم باشا وانهيار الدَّوْلَة السُّعُودِية الأولى.

كان منطلق الدكتور عبدالله في دراسته عن محمد بن عبد الوهَّاب ما كتبه المستشرق الإنجليزي مارْجُلْيُوث MARGOLIOUTH عن «الوَهَّابِيَّة» في الطبعة الأولى من «دائرة المعارف الإسلامية» الإنجليزية ، فوجد أنه اعتمد في بعض ما كتبه فيها، وعلى الأخص، ما يتصل برحلات الشيخ محمد ابن عبد الوهَّاب العلمية خارج الجزيرة العربية، على نُسْخَة من كتاب «لُمَع الشِّهاب في تاريخ محمَّد بن عبد الوهَّاب» لحسن بن جمال الدِّين أحمد الرِّيكي، محفوظة في المتحف البريطاني، وهي النسخة التي قام بنشرها الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة بعد عام من اطِّلاع الدكتور العُثَيْمِين عليها في سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م. وقد نَقَدَ

هذه النشرة الدكتور عبد الرحمن زكي في «المجلة التاريخية المصرية»، وذكر أن الكثير من الحوادث التي أوردها المؤلف دون ذكر تاريخ وقوعها يمكن تحديدُها اعتمادًا على المصادر المعاصرة العربية والأجنبية، مثل مُراسَلات المسؤولين البريطانيين الموجودة في أرْشِيفات شركة الهند الشرقية الإنجليزية، وكتب الرَّحَّالَة الأوربيين.

ونَقَدَها كذلك عَلَّامَةُ الجزيرة الشيخ حَمَد الجاسِر، وأشار إلى أن ما أورده المؤلِّفُ في الباب الأول هو أقرب إلى التَّحْرِيف منه إلى الواقع، وأن ما ذكره في الباب الثاني عن انتشار دَعْوَة محمد بن عبد الوهَّاب يعبر عن جهله وتحيزه، وما أورده في الباب الثالث عن نسب محمد بن سعود ومحمد ابن عبد الوهَّاب مُلَفَّقٌ مستوحى من مُخَيِّلَة كاتبه. وانتهى في نقده إلى أنَّ المؤلف صنيعةُ لأحد الموظفين الإنجليز، أو أنه ألَّفَ كتابه استجابة لرغبة إحدى الجهات ذات الصلة بهم.

وربما ما ذكره الشيخ حَمَد الجاسِر هو سبب وجود هذه النسخة في مكتبة المتحف البريطاني منذ سنة ١٨٦٠م، حيث ورد في الورقة الأخيرة منها أنها اشتُريت من السيدة تَيْلُور بتاريخ أبريل ١٨٦٠م، والسيدة تَيْلُور هي زوجة الكابتن تَيْلُور أحد عمال بريطانيا في الخليج (١٨٤٩-١٨٥٥م).

واستنتج في النهاية أن المؤلِّف أصله من بلاد فارس لأن لغته ظاهرها العُجْمَة، وربما كان حسن بن جمال الدِّين بن أحمد الرِّيكي، الذي يُنْسَب إليه الكتاب، هو المؤلف أو ناسخ النسخة سنة ١٢٣٣هـ.

ووجد الدكتور العُثَيْمِين أن من الفائدة العلمية إعادة نَشْر هذا النص المهم في إطار مشروعه العلمي الذي يهدف إلى نَشْر النُّصُوص الأصلية التي تؤرِّخ للدَّوْلَة السُّعُودية الأولى وبداية حركة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب، والتي يمثلها تواريخ ابن غَنَّام، وابن بِشْر، والفاخِري، وكتاب «كيف كان ظهور شيخ الإسْلام محمد بن عبد الوهَّاب » المجهول المؤلِّف.

ومهمةُ نَقْدِ النُّصُوص هي إخْراج نَصٍّ صَحِيحٍ أقربُ ما يكون إلى الأصْلِ الذي كتبه مؤلِّفُه Constitutio Textus دون شَرْح ، وفي الوقت نفسه فإنَّ الإمْلاء الذي راجعه المؤلِّفُ يعد معادلًا للنُّسْخَة التي كتبها المؤلِّفُ، ولا يقلّ عن ذلك قيمَة النُّسَخُ التي نُقِلَت مباشرَة عن أصْلِ المؤلِّف المكتوب بخطه APOGRAPHE وقُوبِلَت أو عُورِضَت بها.

ويجب على النَّاشِر أنْ يَصِفَ جميعَ النُّسَخ المستخدمة، وعلى الأخَصّ نُسْخَة الأصْل، وصْفًا كوديكولوجيًا، مع تبيين العلاقات القائمة بين الشَّواهِد كُلَّما أمكن ذلك عن طريق وَضْعِ شَجَرَة نَسَب للنُّسَخ Stemma، وإثْبات العلاقات بينها بإيراد عَدَد من الأخْطاء المميَّزَة، وتجميع التَّصْحِيفات المُتَواتِرَة بينها. ويشتمل الجهاز النَّقْدي للنَّشْرَة Apparatus Criticus الذي يُثْبَت لأسبابٍ أوجبتها ظُرُوفُ الطِّباعَة الحديثة في أسْفَلِ الصفحة على:

• الاختلاف مع النُّسْخَة الأصْل المعتمدة.
• القراءات الأخرى المستبعدة، وترجع أهميتها إلى أنها تُبَيِّن للقارئ أنها نتجت عن مرحلة تالية من مراحل تَداوُل النَّصّ.

وتُتَبَعُ كُلُّ هذه الخطوات بغرض الوصول إلى نَصٍّ أقرب ما يكون إلى أصْلِ المؤلِّف المكتوب بخَطّه.

والمفروض عندما يتصدَّى باحثٌ لنَشْر نَصٍّ علميّ قديم أنْ يكون مهمومًا بقضية أو معنيًّا بدراسة النِّتاج الفكري لعالم معيَّن، وأنْ يَدْخُلَ النَّصَّ في نطاق تَخَصُّصه ، مثلما فَعَلَ المحقِّقُ الرَّاحِلُ عبد السَّلام هارون مع مؤلَّفات الجاحِظ، وكذلك المستشرق الفرنسي شارل بلاَّ مع بقية مؤلَّفات الجاحِظ، والمحقِّق الرَّاحِل محمد أبو الفضل إبراهيم مع تراجم اللُّغَويين والنُّحاة، والمستشرق الهولندي دي خويه مع المكتبة الجغرافية، وكاتب هذه السُّطُور مع مؤلَّفات المَقْرِيزي ومصادر تاريخ مصر الإسلامية.

فلو لم يفهم النَّاشِرُ النَّصّ فكيف يمكنه التَّمْييز بين الصَّحيح وغير الصَّحيح. وهذا الفَهْمُ مبنيّ على شَرْطَيْن: مَعْرِفَة المادَّة التي يبحثُ فيها الكِتاب، ثم مَعْرِفَة لُغَة وأسْلُوب المُؤلِّف، وهو ما توفَّر بالفعل للدكتور عبدالله العُثَيْمين ؛ خاصَّةً بعد أنْ أخرج في عام ١٩٨٦م كتابه «الشَّيْخ محمد بن عبد الوهَّاب حَياتُه وفِكْرُه».

فقام بإعادة نشر كتاب «لُمَع الشِّهاب» معتمدًا على الأصْل المحفوظ في المتحف البريطاني ونَشْرَة الدكتور أحمد أبو حاكمة، والنَّشْرَة التي أعَدَّها الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللَّطِيف آل الشَّيْخ سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

وتدارك الدكتور عبدالله العُثَيْمين في نشرته ما فات المُحَقِّقَيْن السابقين؛ ملتزمًا بالقواعد العلمية للنَّشْر النَّقْدي للنُّصُوص القديمة، مستفيدًا من تعليقات أثبتها المحقَّقان السابقان والنَّقْد الذي وُجِّه إليهما، مع الإشارة إلى القراءات التي خالَف بها قِراءة المُحَقِّقَيْن، كما اعْتَمَد في توضيح بعض التفصيلات الخاصة بحملة محمد علي باشا على ما أورده الدكتور عبد الرَّحيم عبدالرَّحْمَن عبدالرَّحيم في كتابه «الدَّوْلَة السُّعُودِيَّة الأولى»؛ مستعينًا بما جاء في وثائق قصر عابدين. وزَوَّدَ الكِتابَ بكشَّافات تحليلية للأعلام وأسماء القبائل والجماعات وأسماء الأماكن.

وقام بعد ذلك بنشر كتاب «كيف كان ظُهُورُ شَيْخ الإسْلام محمد بن عبدالوهَّاب» الذي اعْتَبَرَه كِتابًا مجهول المؤلِّف، والذي ترجع أهميته إلى أنه أُلِّفَ قبل تاريخي ابن بِشْر «عُنْوان المَجْد»، والفاخري «الأخْبار النَّجْدِيَّة»، لأن الفترة الزمنية التي تناولها في كتابه لا تصل إلَّا لما بعد مقتل الإمام عبد العزيز ابن محمد سنة ١٢١٨هـ/١٨٠٣م بسنوات قليلة، وهو ما يوجد كذلك

في نسخة وحيدة في المكتبة الوطنية بباريس. ونَشْرُ نَصٍّ على نسخة وحيدة من أصعب ما يمكن أن يواجه المحقق.

واتَّضَحَ بعد ذلك أنَّ مُؤَلِّفَ الكتاب شَخصٌ يُدْعَى سُلَيْمان النَّجْدِي، كما أثْبَتَ ذلك الباحث الفرنسي رُسُّو ROUSSEAU، وهو مُؤَيِّدٌ لدَعْوَة الشيخ محمد بن عبدالوهَّاب، ومتابع لقادة الدَّوْلَة التي قامت على أساس تلك الدَّعْوَة، ولا تقل حماسته عن حماسة ابن غَنَّام وابن بِشْر حيث يصف ابنَ عبد الوهَّاب في عنوان السِّيرَة بأنَّه «شَيْخ الإسْلام». ويتضح من خلال ما أورده المؤلِّفُ أن البيئة التي ظهر بها ابن عبدالوهَّاب كانت أبعد ما تكون عن الإسْلام الحَقّ، ومنعزلة عن أية تأثيرات خارجيَّة؛ حتى إن المؤلِّفَ يصف الوضع عند بداية دَعْوَة ابن عبدالوهَّاب بقوله: «وكان حين ظهور الإسْلام»؛ أي أنه اعتبر دَعْوَة ابن عبد الوهَّاب هي الإسْلام نفسه. ويقول في مقطع آخر: «أنَّ الشيخ مكث بالعُيَيْنَة مُدَّةً يدعو النَّاسَ إلى الإسْلام». ويصف الاتِّفاقَ الذي تم بينه وبين محمد بن سعود بأنَّه: «عاهده على أنْ يقيم الإسْلام». ويتكلَّم على أحد الأشراف بقوله: «وكان الشَّرِيفُ ما أسْلَمَ بعد»، أي لم ينضم إلى دولة الدَّرْعِيَّة.

ومن الملاحظات التي يمكن استدراكها على منهج التحقيق: استخدام المُحَقِّق كلمة «مَخْطُوطَة» في التَّعْبير عن «نَصِّ الكِتاب»، وهو خطأ شائع، فجاء في المقدمة: «والدَّارَة إذْ تتبنى نَشْرَ هذه المخطوطة»، و «وبذل جهدا واضحا في دراسة هذه المَخْطُوطَة»، و«لم يُذْكَر في المَخْطُوطَة تسمية مؤلِّفها»، والمقصود بالطبع هنا «النُّسْخَة».

فما وصل إلينا هو إحدى نُسَخِ الكِتاب، والنَّشْرُ النَّقْدِي لا يكون إلَّا لنَصِّ الكِتاب الذي تحمله النُّسْخَةُ الخَطِّيَّة.

والنُّسْخَةُ التي وَصَلَت إلينا ليست بخَطِّ المؤلِّف، وفي لُغَتها عُجْمَة، وبها تَصْحيفٌ في الأسْماء والأماكن، كما أن خطَّها لا يشبه خَطَّ النَّجْديين ، كما يقول المُحَقِّق، ومن هنا رَجَّحَ أنَّها يمكن أن تكون بخَطِّ أحد سُكّان الشَّام.

وتُعَدُّ النُّصُوص التي نشرها الدكتور العُثَيْمين أوَّلَ نُصُوص تخرج من شرقي الجزيرة العربية، لأنَّ تاريخ هذه المنطقة المكتوب ربما يبدأ من هذه الفترة، بعكس إقْليم الحجاز الذي عَرَفَ مصادر محلية منذ الأزْرَقي والفاكِهي؛ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي مرورًا بتَقِيّ الدِّين الفاسي المَكِّي وابن فَهْد المَكِّي والسَّمْهُودي، وبالتالي، فإنَّ قَواعِدَ النَّشْر النَّقْدي لا يمكن تطبيقها بحذافيرها على هذه النُّصوص الخاصَّة ببِدايَة دَعْوَة الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب والدَّوْلَة السُّعُودية الأولى؛ لأنَّها نصوصٌ مُؤَسِّسَةٌ للوضع الذي أوجده محمد بن عبد الوهَّاب ومحمد بن سُعود مؤسِّس الدَّوْلَة السُّعُودية الأولى.

وإذا قارنّا هذا الوضع، على سبيل المثال، بالمؤلَّفات التي كُتِبَت بمصر في الفترة نفسها، ويُمَثِّلُها في هذه الفترة ما كتبه عبد الرحمن الجَبَرْتي؛ سواء في «عَجائِب الآثار في التَّراجِم والأخْبار» أو في «مَظْهَر التَّقْديس بذَهاب دَوْلَة الفَرَنْسيس» الذي يسجل فيه ما أحدثته الحملةُ الفرنسية على مصر، وهو يُمَثِّلُ قِسْمًا من الجزء الثالث من كتاب «عَجائِب الآثار»، نجد فرقًا كبيرًا حيث توافَرَت للجَبَرْتي مصادر عن الفترة العُثْمانية المُبَكِّرَة في الأجزاء الأولى من الكتاب، كما كان هو نفسه شاهدًا وحاضرًا لما أورده في الأجْزاء الأخيرة من الكِتاب، ومن هنا جاء نَقْدُه لـ «عَصْر محمد علي باشا» كما هو واضح في الجزء الرابع من الكتاب.

من هنا تأتي صعوبة العمل الذي قام به الدكتور العُثَيْمين حيث لم يجد إلاَّ نسخةً واحدةً لكلا الكتابين اللذين نشرهما: «لُمَع الشِّهاب» للريكي، و«كيف كان ظهور شيخ الإسْلام محمد بن عبد الوهَّاب» لسُلَيْمان النَّجْدي ، كما لم يجد مصادر يعتمد عليها في تخريج الأخبار لأنَّ هاذين الكتابين جاءا تسجيلًا لوَضْعٍ معاصر، ومن ثم، اعْتَمَدَ الجِهازُ النَّقْدي للنشر على افْتِراضِ القِراءَة الصَّحيحَة دون وجود نُسَخٍ أو مصادر يُقابَلُ عليها. على عكس القواعد التي ذكرتها والتي يمكن تطبيقها على المؤلَّفات الأقدم ذات النسخ المتعددة والمعتمدة على مصادر يمكن الرجوع إليها.

عبدالله بن صالح العثيمين مترجمًا

أ.د. خالد بن حمود السعدون

أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة الشارقة

تلقيت الدعوة الكريمة من الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية للمشاركة في هذه الندوة بمزيج من الامتنان والوجل والتوجس: امتنان لتهيئة فرصة كنت أتمناها لإيفاء الراحل العزيز بعض حقه من العرفان لما خصني به من طيب الوداد ودوام التفقد، ووجل من قصور إمكاناتي عن تأدية ما أنيط بي من حديث عن منجز الفقيد في مجال الترجمة. والترجمة منشط فكري لا يُحسن الخوض فيه إلا المتمرسون في فنونه المطلعون على خباياه، ولست من أهل ذلك كله. أما التوجس فمن احتمال غلبة العاطفة على ما يُفترض أن يكون تقويمًا موضوعيًا للمنجز المستعرض، وأنى للموضوعية أن تصمد أمام الهوى. وإذ لا بد مما ليس منه بد فقد كبحت وجلي باستفار القليل الذي لدي، وحسب المرء أن يبذل أقصى جهده ويستفرغ غاية طاقته لإنجاز ما هو مقدم عليه. وغالبت التوجس بالتعويل على خطة طالما التزمتها عند التعامل مع نتاجات من أحب قوامها تركيز النظر في النصوص دون الشخوص، مع ما في هذا من عناء يعرفه مكابدوه حق المعرفة.

مما يؤسف عليه شيوع فهم مشوه للترجمة لدى بعض ممن يُعدون من النخب المتعلمة يسوغ لهم نفيها من ميدان الأعمال الإبداعية. وأس هذا الفهم توهم أنها مجرد جهد آلي يستطيعه كل من يلم بلغة أجنبية إلمامًا يمكنه من فهم النص المكتوب بها لينقله إلى لغته الأم. ولعمري إن هذا الفهم يكشف قصورًا معرفيًا لدى معتنقه ينكص به عما أدركه علماء حضارتنا قبل قرون طويلة من مكانة الترجمة وأهميتها الفائقة، حين أقبلوا عليها بجد وحماسة حتى غدت محفزًا رئيسًا لنمو بذرة حضارتهم التي أينعت أطيب الثمرات في عصرها. وتخطى ذلك الإقبال حد الممارسة العملية للترجمة وجازه إلى مجال التنظير لذلك النشاط الفكري حتى لقد صاغ الجاحظ ما يعده المختصون نظرية خاصة للترجمة.[1]

وربما يجادل مجادل بأن الترجمة، بما تتطلبه من جهد ونفقة، لا تلزم إلا في مجال العلوم التطبيقية ولا ضرورة لها في مجال الإنسانيات بزعم خطورة تخلف الأمة في المجال الأول وانتفائها في المجال الآخر. وذاك جدل متهافت ينقض أساسه واقع ماثل أمامنا يتعذر معه

على أغلبية القراء العرب التعرف إلى نتاج الفكر العالمي الحديث في شتى مجالاته بلغاته الأصلية. وتلح الحاجة إلى الترجمة في مجال العلوم الإنسانية جراء حقيقة مريرة تتمثل في جهل قطاع كبير من العاملين فيه بأية لغة أجنبية. ويتحول الأمر إلى كارثة حين يمتد ذلك الجهل إلى طلبة الدراسات العليا بما يعوق استفادتهم من الوثائق الأجنبية، ويحول بينهم وبين ما كتبه الغربيون من شهادات معاصرة على أحداث تاريخنا، وما أعدوه من دراسات حديثة عنه جديرة بالدرس والمراجعة والتدقيق.

ومن الشائع المعروف في ميدان الترجمة أن لها منهجين[٢] يحرص أولهما على التقيد بألفاظ النص المراد ترجمته ويسعى للمطابقة بينها وبين ما يقابلها في اللغة العربية. ويعنى متبعو هذا المنهج بأن تكون تلك المقابلة مطابقة تبلغ حد المماثلة بين النصين حتى لو تطلب الأمر التضحية بجمالية النص ووضوح عباراته. ويطبق هذا المنهج - عادة - مترجمون محترفون محدودو الخيال يُغرقون المكتبات بسيل من ترجمات كُتبت بلغة هجينة ركيكة لا تمت بصلة لأي من اللغتين المانحة والمتلقية، فتغدو رطانة يحار القارئ في تمييز معانيها. أما المنهج الآخر فيتبناه المترجمون المتمكنون ممن يركزون همهم على تشرب المعنى الدقيق للنص الأجنبي، ويفهمون مضامينه تمام الفهم، ثم يقومون بإبداع نص جديد بلغتهم يحافظ بأمانة على ذلك المعنى، ويصوغونه صياغة جلية تنسجم مع أساليب التعبير في اللغة المتلقية. ويرقى المترجم - في هذه الحالة - إلى مستوى الإبداع ويعد «مؤلفًا ثانيًا».

ولا يتيسر لكل من يعرف لغة أجنبية الوصول إلى درجة الإبداع تلك [٣]، بل لا بد من أن تتوفر فيه شروط شخصها الجاحظ بعبقريته وحددها بقوله:- «ولا بد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها حتى يكون فيهما سواء وغاية «[٤]. وتنبني على ذلك حقيقة أن المترجمين المبدعين نادرون.

كان الفقيد، رحمة الله، عليه يدرك أهمية الترجمة في ميدان الدراسات التاريخية، فلم تمنعه كثرة أنشطته الفكرية ووفرة أعبائه العملية من الإسهام في هذا النشاط. وكان منجزه الرئيس فيها ترجمة ستة كتب. وسوف تقف هذه الورقة عند كل ترجمة من تلك الترجمات، فتُعَرِّفُ بالنص في لغته الأصلية شكلًا وموضوعًا وتُعَرِّفُ بمقابله المعرب، وتنوه بالأسباب التي دفعت المترجم لاختياره موضوعًا للترجمة. وتصب بعد ذلك اهتمامها على ترجمة واحدة من بينها متخذة إياها أنموذجًا للبقية، إذ لا يسمح قصر الوقت المتاح ولا ضيق الحيز المتوفر للورقة بتسليط الضوء على تلك الترجمات جميعها. وقديمًا قيل «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق».

وترجماته الست حسب تتابعها الزمني كما تظهره تواريخ نشرها، هي:

ترجمة كتاب «توحيد المملكة العربية السعودية» لمؤلفه الأستاذ محمد المانع.

نُشرت هذه الترجمة في الرياض سنة ١٤٠١ هـ/١٩٨١م، وأعيد نشرها ثانية سنة ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م. وبين المترجم في مقدمته السبب الذي حدا به إلى القيام بالترجمة وهو إن النص الإنكليزي استهدف في الأساس القارئ الغربي ولكنه يحوي الكثير من الفائدة للقارئ العربي، أيضًا، لما يتوفر فيه من معلومات ومتعة لا تتوفر في غيره من الكتب التي أُلفت في موضوعه. وذكر إن قيامه بالترجمة جاء لاحقا لنشره عرضًا موجزًا باللغة العربية عن الكتاب ومراجعة طويلة عنه باللغة الإنكليزية.[٥] ويبدو أن نشر العرض والمراجعة مهدا السبيل لتفاهم جرى بينه وبين المؤلف على قيامه بترجمة الكتاب. ولكن ذلك التفاهم بعد نقاش بين الرجلين أسفر عن اقتناع المؤلف ببعض آراء المترجم وتخويله إياه إجراء تعديلات لبعض محتويات الكتاب عند الترجمة. ولكنه لم يوافق على آراء أخرى وأصر على إبقاء ما كتبه على حاله دون تغيير. ومن جملة التغييرات الي أذن بها المؤلف قيام المترجم بكتابة الملحق الثاني للكتاب المتضمن عرضا موجزا لتاريخ آل سعود قبل الملك عبد العزيز.[٦]

وليت المترجم عَيَّنَ في ترجمته مواضع التغيير المنفذ والمقترح دون تنفيذ. وليته ألحق بترجمته المراجعة الطويلة التي نشرها عن الكتاب قبل الترجمة. ولو أنه فعل لبان مقدار الجهد الذي بذله المترجم في تعديل النص الأصلي. ويلاحظ على هذه الترجمة خلوها مما حفلت به الترجمات اللاحقة من تعليقات وتوضيحات وتصويبات. وربما كان السبب كامنًا في النقاش الذي جرى بين المترجم والمؤلف قبل الترجمة وما أدى إليه من إدخال بعض التعديلات على النص، مما أغنى المترجم عن كثرة التهميش على النص الأصلي عند الترجمة. ولا يحسن أيضا إغفال حقيقة أن النص يروي أحداث تجربة المؤلف الشخصية خلال مدة خدمته مع الملك عبدالعزيز؛ مما يقلل الحاجة إلى تدخل طرف ثان معترضًا أو مصوبًا. ولا يستبعد أن المترجم، بما اتسم به من لطف التعامل، أعرض عن تحديد مواضع الكتاب التي كانت لديه اعتراضات عليها لم تنل إقرار المؤلف.

وقد بين المترجم في مقدمته أنه بذل ما يستطيع من جهد في سبيل جعل النص العربي معبرًا تعبيرًا صادقًا عما أراده المؤلف في نصه الإنكليزي.[٧] وحيث تتعذر المقارنة بين النصين بسبب غياب النص الإنكليزي فليس في الإمكان سوى القول إن النص المعرب جاء واضح المعنى، سلس العبارة، يشد القارئ ويوفر له المتعة التي بشره بها المترجم في مقدمته.

ترجمة قسم من كتاب بوركهارت وإعطاؤه عنوان «مواد لتاريخ الوهابيين»

وقد نُشرت الترجمة في الرياض سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، وأُعيد نشرها ثانية سنة

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. والنص المترجم مستل من الجزء الثاني من كتاب بوركهارت المعنون باللغة الإنكليزية Notes on the Bedouins and Wahabys Notes on the Bedouins and Wahabys Notes on the Bedouins and Wahabys

وحيث إن المترجم قام لاحقًا بترجمة ذلك الكتاب بأكمله كما سيمر، وضمنه القسم الذي نشره في هذه الترجمة، فلا داعي للحديث عن هذه الترجمة الآن، ويكفي القول إنها كانت أشبه ما تكون بالتجربة التمهيدية لما أتى لاحقًا. كما يلزم القول إن الكتاب المنشور احتوى مقدمة للمترجم وقعت في ست صفحات عرض فيها نبذة من سيرة بوركهارت، وكررها منقحة في الترجمة الكاملة اللاحقة. وتلت المقدمة ترجمة المادة المستلة، وجاءت في حوالي مائتي صفحة (٩ - ٢٠٧).

نشر قسم آخر من كتاب بوركهارت وإعطاؤه عنوان «من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل ١٨٠عاما».

وقد نُشر في الرياض أول مرة سنة ١٤١١هـ/١٩٩٠م، وأعيد نشره هناك بعد سنتين. وهو مثل سابقه مادة مستلة من كتاب بوركهارت المشار إليه آنفًا. وقد صدر المترجم ترجمته بمقدمة من عشر صفحات (٥ - ١٥) وظف فيها حصيلته الغنية من الشعر النبطي[٨] لإيراد شواهد على اهتمام البدو بالخيل والإبل. وجاءت بعد ذلك ترجمة النص المستل وشغلت الصفحات (١٧- ٨٨). ونُقلت هذه الترجمة إلى الترجمة الكاملة لكتاب بوركهارت فلا موجب للاستفاضة في الحديث عنها في هذا الموضع.

ترجمة تقرير سانت جون فيلبي عن رحلته إلى نجد.

تعتبر هذه الترجمة أنموذجًا معياريًا لترجمات الفقيد، إذ قام بها بعد نضج خبرته في ميدان الترجمة. وعنوان هذا التقرير الذي رفعه فيلبي لوكيل المندوب المدني البريطاني في بغداد ولسون بتاريخ الثاني عشر من شهر تشرين الثاني - نوفمبر ١٩١٨ /السابع من صفر ١٣٣٧ هـ. وعنوان التقرير في أصله الإنكليزي Report on Najd Mission Report on Najd Mission 1917- 1918, Printed at the Government Press, Baghdad, 1918.

وتلاه عنوان ثان هو:

[٩] Report on the operations of the Najd Mission, October 29th, 1917, to November 1st, 1918.

وتكون التقرير من عشرين مبحثًا تلتها أربعة ملاحق. وجاءت المباحث في تسع وثلاثين صفحة، بينما شغلت الملاحق إحدى عشرة صفحة. وبذا يكون حجم النص المترجم كله خمسين صفحة فقط.

وقد أخرج المترجم ترجمته للنص تحت عنوان «بعثة إلى نجد ١٣٣٦- ١٣٣٧ هـ/ ١٩١٧- ١٩١٨م»، ونُشرت في الرياض سنة ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م، وأعيد نشرها ثانية هناك بعد سنتين. وتقع الترجمة في مائتين وسبع وثمانين صفحة، منها مائة وخمسون صفحة لمباحث التقرير، واثنتان وثلاثون صفحة للملاحق الأربعة. وخصص المترجم صفحتين لمقدمة بين فيها الأسباب التي جعلته يقدم على ترجمة ذلك النص، وتلتها لمحة تاريخية ضافية مؤلفة من ستين صفحة عَرَّفَتْ بتاريخ نجد قبل وصول البعثة إليها، وتضمنت تعريفًا بشخص فيلبي وكتاباته عن المملكة. وقد التزم المترجم في ترجمته ترتيب مباحث التقرير وملاحقه كما وردت في الأصل دون تقديم أو تأخير.

أما عن أسباب اختيار هذا النص للترجمة فعزاها المترجم إلى كون هذا التقرير أول كتابات فيلبي عن الملك عبد العزيز وبلاده، ولأنها تحوي معلومات مفيدة تستوجب الاهتمام. كما حفزه للترجمة احتواء التقرير على ما يستدعي التقويم والتعديل. وأورد سببا آخر يقع قبل ذلك كله وهو أن الترجمة جاءت تلبية لأمر من خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (وكان أميرا لمنطقة الرياض حينها)[١٠] وألزم المترجم نفسه في المقدمة بالتعليق في ترجمته على ما يستوجب التعليق، محددًا دواعيَ ثلاثة للتعليق هي: التعريف بالأسماء والمواضع، و إيضاح بعض المسائل، وتصويب بعض الآراء أو المعلومات[١١] وقد أوفى المترجم بالتزامه خير إيفاء بدلالة ما ورد في الجدول التالي.

جدول رقم (١)

إحصائية لتعليقات المترجم على نص فيلبي

نوع التعليق	عدد التعليقات	النسبة المئوية
تعريف	٣٨	٣٠٫٦٥
إيضاح	٥٨	٤٦٫٧٧
تصويب	٢٨	٢٢,٦٠
الإجمالي	١٢٤	١٠٠

وبتقسيم العدد الإجمالي للتعليقات على عدد صفحات الترجمة يتبين إن نصيب كل صفحة من صفحاتها.

يبلغ قرابة تعليق واحد لكل صفحتين، انصب أكثرها على إيضاح قصد المؤلف في عباراته تيسيرًا لإيصاله إلى ذهن القارئ. وتعكس وفرة التعليقات تضلع المترجم في الموضوع الذي تصدى لترجمته. وهي ملاحظة تنطبق على ترجماته كافة التي حرص على أن تكون وثيقة الصلة بتخصصه الدقيق، وهو دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خصوصًا، وتاريخ المملكة عمومًا. فحقق بذلك شرط الجاحظ حول أن تكون معرفة المترجم للغة النص مماثلة لمعرفته بموضوعه.

ترجمة كتاب بوركهارت «ملاحظات عن البدو والوهابيين».

كتب الرحالة جون لويس بوركهارت كتابين عن رحلاته في شبه الجزيرة العربية، نشر أولهما في لندن سنة ١٨٢٩م، وكان عنوانه: Travels in ArabiaTravels in Arabia وقد ترجمه إلى اللغة العربية الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الهلابي والأستاذ الدكتور عبدالرحمن الشيخ.

وجاء عنوان الكتاب الثاني: Notes on the Bedouins and WahabyNotes on the Bedouins، ونُشر في لندن سنة ١٨٣١م في جزأين ضم أولهما ثلاثمائة واثنتين وثمانين صفحة، وضم الثاني ثلاثمائة وإحدى وتسعين صفحة[١٢] وكان المترجم قد اقتطف مستلات منه ونشرها في كتابين تمت الإشارة إليهما آنفًا، وهما: «مواد لتاريخ الوهابيين» و«من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل ١٨٠ عامًا»، وجاءت ترجمة هذا الكتاب الثاني الكاملة تحت عنوان «ملاحظات عن البدو والوهابيين»، وتقع في جزأين مضمومين في مجلد واحد. يقع أولهما في مائتين وخمس وتسعين صفحة، والثاني في مائتين وسبع وأربعين صفحة. وتصدرت الجزء الأول مقدمة للمترجم تقع في سبع عشرة صفحة تناولت جولات الرحالة الأوربيين في المنطقة قبل بوركهارت، ثم أوجزت تعريفًا بشخص بوركهارت ورحلته في المنطقة العربية ووصف لمضامين ما كتبه عن تلك الرحلة. وقد حرص المترجم على تضمين مقدمته تعليلًا لاستخدامه لفظ «الوهابيين» الذي لا يزال يثير حساسية لدى البعض حتى الآن. وكان التعليل هو ضرورة الإبقاء على الأسماء كما وردت في النص الأصلي. وتذرع بإقدام بعض أتباع الدعوة في الآونة الأخيرة على استخدام لفظي «الوهابية» و «الوهابيين» دون أن يروا في ذلك بأسًا. وعَلَّل إقدامهم بقناعتهم بأن مبادئ الدعوة غدت على درجة كبيرة من الوضوح بين الناس بحيث لا تشوش أفكارهم عنها محاولات التشنيع التي يقوم بها الخصوم ضدها، ومنها شبهة التسمية [١٣]

وسوَّغ المترجم عودته إلى ترجمة ذلك الكتاب كاملًا بعد أن سبق له ترجمة مستلات منه بتكليف تلقاه من «دارة الملك عبد العزيز» ينتدبه للقيام بعملية الترجمة والتعليق على ما يتطلب التعليق في النص الأصلي[١٤] والكتاب فوق ذلك جدير بالترجمة – في رأيه – لكون مؤلفه من الرحالة الذين اتصفت كتاباتهم عن البلاد العربيـة بالجـودة [١٥] كما أنه أظهر حيدة كبيرة في حديثه عن أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغزارة في معلوماته عنهم، وهي ذات فائدة للباحثين المهتمين بتاريخهم[١٦] ولم يكتف المترجم بالترجمة السابقة لمستلاته من الكتاب فيعيدها كما هي؛ بل قام، توخيًا منه للدقة، بمراجعتها وتدقيقها إذ تظهر المقارنة بين الترجمتين وجود تعديلات في صياغة بعض الجمل والعبارات وإبدال بعض المفردات بأخرى أكثر وضوحًا وأنصع بيانًا.

وقد واصل المترجم في ترجمته هذه ما فعله في ترجمته السابقة «من حديث بوركهارت عن الخيل والإبل العربية قبل ١٨٠ عامًا» من إيراد شواهد من الشعر النبطي لإيضاح بعض مضامين النص المترجم. بل أنه تجاوز ذلك فوظف شاعريته المعروفة وبراعته في نظم الشعر النبطي في تقويم اعوجاج بعض الأبيات التي استشهد بها المؤلف في الأصل فجاءت مرتبكة المعنى مختلة الوزن نظرًا لما هو معروف من صعوبة ترجمة الشعر من ناحية، وللتباين الطبيعي بين ذائقة الرجل الأوربي والشاعر البدوي وتمايزهما في معرفة المعاني الدقيقة للمفردات. وقد استعان المترجم بشواهد الشعر النبطي في ستة مواضع من ترجمته. وسار المترجم على مألوف عادته في ترجماته السابقة فأكثر من التعليق على النص الذي ترجمه، وحفلت هوامشه بالتعريفات والتوضيحات والتصويبات كما يظهر الجدول الآتي:

جدول رقم (٢)

إحصائية لتعليقات المترجم على نص بوركهارت

نوع التعليق	عدد التعليقات	النسبة المئوية
تعريف	٢٨	٦٫٦٤
إيضاح	٢٦٤	٦٢٫٥٦
تصويب	١٣٠	٣٠٫٨٠
الإجمالي	٤٢٢	١٠٠

ولو قُسم العدد الإجمالي للتعليقات على عدد صفحات الترجمة البالغة خمسمائة وإحدى عشرة صفحة لكان نصيب كل صفحة أقل قليلًا من تعليق واحد. ويتفاوت هذا النصيب من فصل لآخر، فالفصل الخاص بحملات محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية، وهو يقع في ثلاث وثمانين صفحة، خُصَّ بخمسة وثلاثين تعليقًا فقط. ويعكس هذا إقرار المترجم الضمني لأغلب مضامين رواية بوركهارت عن أحداث تلك الحملات.

ويلاحظ على هذه الترجمة ما لوحظ على سابقاتها وتالياتها من سلامة ترجمات المترجم من داء الذاتية المفرطة الذي يُبتلى به كثير من حملة الأقلام. فقد حرص حرصًا بينًا على استخدام لغة موضوعية في كتابته، فأكثر من استخدام صيغة المبني للمجهول بدلًا من صيغة المتكلم، فأحل «أبقي» بدل «أبقيت»، ووضع «بذل» مكان «بذلت». وإذا اضطر اضطرارًا لا مناص منه لذكر نفسه استخدم صيغة الغائب فأخفى الذات خلف صيغ مثل: «كاتب هذه السطور»، أو «المترجم». وكان ذلك منه دليلًا على تواضع صادق وسم شخصيته يعرفه من عايشوه.

ترجمة كتاب كرايتون

صدر هذا الكتاب بعنوان: Crichton, Andrew, History of Arabia, Ancient and Modern

ونشر في جزأين في أدنبره سنة ١٨٣٣م[١٧]. وكان كل واحد من ذينك الجزأين يحتوي على أربعمائة وأربع وستين صفحة. وقد استل منه المرحوم العثيمين ما يتعلق بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته ومسيرة أنصاره، وهو ما ورد في الفصل السابع من الجزء الثاني من الكتاب الأصلي تحت عنوان «تاريخ الوهابيين «، وحوته الصفحات الواقعة بين ٢٨٨ و٣٤٥. وأضاف إليه مستلًا آخر من الفصل الثامن[١٨] من الجزء نفسه يقع بين الصفحتين ٣٤٦ و٣٩٠، وتطرق فيه المؤلف لحياة العرب الاجتماعية. وعَلَّل المترجم تلك الإضافة بكون الحياة الاجتماعية ذات صلة وثيقة بالتاريخ المتحدث عنه[١٩] وبذلك بلغت صفحات المستلين معًا مائة صفحة وصفحة، وأخرجهما بعد الترجمة في كتاب واحد تبلغ صفحاته مائتين وخمس صفحات من القطع المتوسط، كانت حصة الترجمة منها مائة وثمان وأربعين صفحة. وأُفردت من صفحات الكتاب تسع صفحات لمقدمة المترجم عرف فيها بإيجاز بالكُتّاب الأوربيين الذين سبقوا كرايتون في الكتابة عن الدعوة، ثم وصف بإيجاز كتاب كرايتون الذي استُلَّت منه المادة المترجمة. وعرج في المقدمة على أسباب قبوله لتسمية الوهابيين فكرر العلل ذاتها التي عرضها في مقدمته لترجمة كتاب بوركهارت وذُكرت سابقا.

وتطرق المترجم في مقدمته لبيان سبب اختياره ترجمة هذا العمل فذكر عداء كرايتون الصريح للإسلام والمسلمين وللعرب خصوصًا مما يستوجب التنبيه على المواضع التي يُظهر فيها المؤلف تحامله حيثما وردت في النص. وبيَّن المترجم إن النص رغم تحامله لا يخلو من أهمية تُسوِّغ ترجمته، إذ أن حديثه عن الدعوة الوهابية قديم نسبيًا، ويشتمل على معلومات وآراء مهمة يجب الإطلاع عليها والتعليق على ما يتطلب التعليق منها[٢٠] ويلاحظ هنا الموقف العقلاني المتزن الذي التزمه المترجم، حين لم يُعرِّض - كما يفعل البعض منا - عن قراءة النصوص الأجنبية التي فيها شيء من تحامل، ويكتفي بشتمها وتسفيهها دون الاطلاع عليها. واختار بدلًا من ذلك الرفض الصبياني المتشنج قراءة تلك الكتب والاعتراف بما فيها من إيجابيات وتفنيد ما حوته من سلبيات. وجاء تفنيده بلغة علمية هادئة تدرك أن الاختلافات بيننا وبين أولئك الكُتّاب الأجانب أمر محتم لاختلاف المنظور الثقافي وتباين زاوية الرؤية. فحين ترجم قول كرايتون «وأدى عند الكعبة الطقوس السخيفة والمتعبة من شعائر المسلمين» اكتفى بالتعليق في الهامش بقوله:- «وَصْفُ المؤلف تلك الشعائر بما وصفها به ليس غريبًا من شخص غير مسلم مثله»[٢١] وحين ورد في النص المترجم قول كرايتون «ولكنهم تركوا تعاليم العقيدة الإسلامية الضالة وغير النقية دون مساس» علق عليه في الهامش بقوله:- «الأوصاف

التي أطلقها المؤلف على الإسلام وتعاليمه والقرآن الكريم تظهر بوضوح مدى الحقد الذي يضمره أعداء هذا الدين الحنيف»[٢٢]

والتزم المترجم في ترجمته هذا النهج الذي سار عليه في بقية ترجماته فأكثر من التعليق على ما ورد في النص مما يستوجب التعليق متسلحًا بواسع إطلاعه العام وعميق تبحره في مجال تخصصه الأكاديمي. ويظهر الجدول التالي الحصيلة العددية لتعليقاته على النص المترجم:.

جدول رقم (٣)

إحصائية لتعليقات المترجم على كتاب كرايتون

نوع التعليق	عدد التعليقات	النسبة المئوية
تعريف	٦	٥ر٢٠
إيضاح	٧٧	٦٧ر٠٠
تصويب	٣٢	٢٧ر٨٠
الإجمالي	١١٥	١٠٠

وحيث إن عدد صفحات النص المترجم يبلغ مائة وصفحة واحدة تكون حصة الصفحة الواحدة من التعليقات قرابة ١,١٣ تعليق لكل صفحة. وهو معدل يفوق أمثاله في الترجمات السابقة، وذلك عائد بالطبع إلى كثرة مؤاخذات المترجم على ما ورد في النص المترجم.

أمثلة من ترجماته

والأمثلة مستخرجة من ترجمته لتقرير فيلبي الذي اتُخذ أنموذجًا لبقية ترجماته للأسباب التي تم بيانها آنفًا. ويُظهر الإمعان في تلك الترجمة وجود أنساق معينة فيها، ويمكن حصرها وتصنيفها كما يأتي تسهيلًا للعرض:

- اللجوء للاختصار في بعض المواضع دون إخلال بالمعنى العام للنص. وهو أمر يثير خلافًا بين المعنيين بالترجمة إذ يرى فيه بعضهم تجاوزًا في حق مصون للمؤلف. بينما يرى البعض الآخر الاختصار دليلًا على تمكن الناقل من لغة النص الأصلي وتعبيرًا عن سعة اطلاعه على موضوع النص[٢٣]
- وضع عبارات شائعة بديلة لعبارات وردت في النص قد تغمض على القراء .
- عدم دقة الترجمة في مواضع هامشية نادرة.
- تهذيب حدة بعض العبارات الواردة في النص الأصلي دون التضحية بالمعنى المقصود.

أمثلة الصنف الأول:

To discuss the question of the permanent appointment of a British Political Agent for Najd. (p.1)

تُرجمت «مناقشة تعيين وكيل سياسي بريطاني في نجد» (ص ٨٧) باختصار كلمة «دائم» من العبارة.

Captain Crozier of H.M.S. Lawrence have very kindly placed … (p. 4)

تُرجمت «وقد وضع كروزاير قائد السفينة لورنس تحت تصرفنا...» (ص ٩٠) باختصار «صاحب الجلالة» و «اللطف الكبير».

And most cordially received by His Excellency (p.5)

تُرجمت «واستقبلنا سعادة» (ص ٩١) باختصار كلمتي «بغاية الحرارة».

Who showed tentative signs of accepting his offer. (p.9)

تُرجمت «اللذين أبديا استعدادًا لقبول عرضه» (ص ١١١) باختصار كلمتي «اشارات أولية».

Certain matters of mutual import to himself and the British Government (p.1)

تُرجمت «أمور معينة مهمة له وللحكومة البريطانية» (ص ٧٣) باختصار «ذات أهمية مشتركة».

My reports cover a period of almost exactly one calendar year (p.1)

تُرجمت «ويغطي تقريري فترة سنة تقريبًا» (ص ٧٣) باختصار عبارة «إن تقاريري تغطي مدة تقرب من سنة تقويمية تامة»

I have deemed it convenient to abandon any attempt at a chronological narrative of the Mission's work in favour of a full and separate discussion of the various problems which have called for consideration during the period under report. (p.1)

تُرجمت «وأحسب أنه من الأجدى عدم محاولة رصد عمل البعثة وفق ترتيب زمني. بل الأجدى إيراد نقاش مفصل لمختلف المسائل التي أُخذت بعين الاعتبار خلال فترة إعداد هذا التقرير» (ص ٧٤) باختصار للعبارة «لقد اعتبرت من الملائم التخلي عن أية محاولة لسرد عمل البعثة حسب سياقه الزمني واستبدالها بمناقشة وافية منفصلة للمشاكل العديدة التي تطلبت اهتمامًا خلال المدة المستعرضة بالتقرير».

Furthermore considerations of space have deterred me from including in this review any detailed account of my journeyings (p. 1)

تُرجمت «وبالإضافة إلى ذلك فإن ضيق المجال يمنعني من إيراد تقرير مفصل عن رحلاتي»

(ص ٧٤) اختصارًا لعبارة أطول هي «وفضلًا عن ذلك أعاقتني اعتبارات الحيز المتاح عن تضمين الاستعراض أية رواية مفصلة عن ترحلاتي»

And I look forward now to a period of leisure wherein to sort out and arrange in a form suitable for publication the copious notes which I have collected on a variety of interesting subjects. (p.1)

تُرجمت «وإني لأنتظر الآن بشوق إلى فترة راحة لأرتب بشكل مناسب للنشر الملحوظات التي جمعت عن موضوعات شيقة مختلفة» (ص ٧٤) بدلا من عبارة أطول هي «وأتطلع الآن لوقت فراغ أصنف خلاله الملاحظات الوفيرة التي جمعتها حول تشكيلة من الموضوعات الشيقة وأرتبها بصيغة ملائمة للنشر».

Prior the outbreak of the Great War there had for obvious reasons been but little official intercourse between the British authorities and the rulers of Najd. (p.1)

تُرجمت «لم تكن هناك إلا اتصالات رسمية نادرة بين بريطانيا وحكام نجد قبل اندلاع الحرب العالمية وذلك لأسباب واضحة» بدلًا من عبارة «قبل اندلاع الحرب العظمى لم يكن هناك، لأسباب جلية، إلا قليل من الاتصالات الرسمية بين السلطات البريطانية وحكام نجد».

Deputed for the purpose by the Indian Government traversed the devastated territories of the Wahabi Empire with the sole object of conveying to the destroyer the congratulation …(p. 1)

تُرجمت «وقد أرسلته حكومة الهند البريطانية لتهنئة من حطم الإمبراطورية الوهابية» (ص ٧٥) تجنبًا لترجمة أطول هي «انتدبته حكومة الهند لاجتياز الأقاليم المدمرة للإمبراطورية الوهابية بهدف وحيد هو نقل التهنئة لمن قام بالتدمير»

The battlefield of Jarab , where the forces of Ibn Saud were arrayed in our cause against those of Ibn Rashid who had declared for Turkey and the day went ill for our ally , was followed by a long period of military inactivity. (p.2)

تُرجمت «معركة جراب قد تلتها فترة طويلة من عدم النشاط العسكري من قبل ابن سعود، وكانت قواته قد نظمت بجانبنا ضد قوات ابن رشيد الذي أعلن وقوفه مع تركيا. وكان ذلك اليوم على حليفنا لا له» (ص ٧٨) تفضيلًا على عبارة أخرى تقول:- «إن معركة جراب التي اصطفت فيها قوات ابن سعود – دعما لقضيتنا – ضد قوات ابن رشيد الذي أعلن وقوفه مع تركيا، وإذ جرى ذلك اليوم بشكل سيئ لحليفنا فقد أعقبته مدة طويلة من الهمود الحربي»

The necessity of sending an Officer to represent him in Najd was already engaging Sir Percy Cox's serious attention , but it was not until May , that an opportunity presented itself of giving effect to his plans in this direction (p.2)

تُرجمت «وكانت ضرورة إرسال السير برسي كوكس ممثلًا له في نجد قد شغلت باله. ولكن لم تحن الفرصة المناسبة لما كان يخطط له قبل شهر مايو من تلك السنة».

وبهذا الاختصارتخلص المترجم من عبارة أطول هي «إن ضرورة إرسال موظف يمثله في نجد كانت تستحوذ منذ حين سابق على اهتمام جدي لدى السير برسي كوكس، ولكن لم تظهر حتى شهر مايو فرصة لوضع خططه في هذا الشأن موضع التطبيق».

It was now obviously impracticable to renew the attempt to link up with Ibn Saud until the climate moderated and the hot weather dragged on with Ibn Saud making a somewhat half-hearted pretense of threatening Hail from the Qasim until Ramadhan , when he left Turky , his eldest son , in command of such forces as had not dispersed and returned to Riyadh too fast. (p. 2)

تُرجمت «وأصبح واضحًا حينئذ أنه من غير العملي تجديد محاولة الاتصال بابن سعود حتى يعتدل الجو. وكانت حرارة الطقس قد جعلته لا يقوم بمحاولة جادة لتهديد حائل من القصيم حتى رمضان عندما وضع ابنه الأكبر تركي بن عبد العزيز قائدًا لقواته التي بقيت مجتمعة وعاد هو إلى الرياض ليصوم فيها»(ص٨٠) واستهدفت تلك الترجمة الاختصار بدل الإطالة بالقول «لقد غدا جليًا حينها أن من غير العملي تجديد محاولة التواصل مع ابن سعود إلى أن اعتدل المناخ ومضى الطقس الحار فقام ابن سعود بتظاهر فاتر نوعًا ما بتهديد حائل من القصيم استمر حتى رمضان حين ترك ابنه الأكبر تركي في قيادة ما بقي مجتمعًا من القوات وعاد هو مسرعًا إلى الرياض».

To discuss fully with Ibn Saud and form an opinion as whether any , and , if so , what further action Ibn Saud can usefully take (p. 4)

تُرجمت «التباحث بالتفصيل مع ابن سعود وتكوين رأي عما إذا كان هناك أي عمل مفيد يمكن أن يقوم به». (ص ٨٧) تجنبًا لعبارة أطول هي «لمناقشة مستفيضة مع ابن سعود وتكوين رأي عما إذا كان هناك أي عمل يستطيع ابن سعود القيام به بشكل مفيد، وإذا كان الأمر كذلك تحديد ماهية ذلك العمل»

A man of good business capacity , moderately well versed in the affairs of the world. (p. 5)

وتُرجمت العبارة «إنه رجل ذو مقدرة تجارية وذو معرفة جيدة بشؤون العالم» (ص٩١) بدلًا من ترجمة أطول يمكن أن تكون «رجل ذو طاقة عملية جيدة وحسن الاطلاع بشكل معقول على شؤون العالم».

Indicated the necessity of taking stock of the merits of the various professedly friendly leaders of the Shammar an Dhafir who had long enjoyed our bounty and made no adequate return in the direction of action against our common enemies.(p. 7)

تُرجمت «أشارت إلى ضرورة الاستفادة من مميزات مختلف قادة شمر والظفير الذين يظهرون الصداقة لنا وينعمون منذ وقت طويل بعطائنا ولا يقومون مقابل هذا بأي عمل ضد

أعدائنا المشتركين» (ص ١٠٠) وترجمة أطول لتلك العبارة يمكن أن تكون «أشرت إلى ضرورة الانتفاع من مزايا قادة عديدين من شمر والظفير يعدون لفظيًا موالين لنا وينعمون منذ أمد طويل بكرمنا دون أن يقدموا عائدًا مكافئًا باتجاه العمل ضد أعدائنا المشتركين».

It was a trifle disappointed to find that he was not less avaricious than others of his kind , but I thought turn this failing to advantage (p. 8)

تُرجمت العبارة «ووجدت أنه لم يكن أقل حبًا للمال من أمثاله. لكني رأيت أن أحول هذه الصفة إلى منفعة بالنسبة لنا» (ص ١٠٥) والترجمة الأطول للعبارة هي «غدوت محبطًا قليلًا حين وجدته ليس أقل جشعا من آخرين يماثلونه، ولكني نويت الانتفاع من ذلك العيب».

The honours undoubtedly rested with Ibn Rashid , though he was unable to take any practical advantage of them. (p. 12)

ترجمت «ابن رشيد يحظى بالصيت العالي رغم أنه عجز عن أن يستفيد منه» (ص ١٢٣) وترجمة لا تتوخى الاختصار يمكن أن تكون «حاز ابن رشيد مفاخر النصر دون شك مع أنه لم يكن قادرًا على الانتفاع منها عمليا».

It found that , on moral grounds alone , Ibn Saud had unassailable case " (p.13)

تُرجمت «وجدت أن لدى ابن سعود حجة دامغة» (١٢٦) بينما ترجمة أطول تقول:- «لقد ظهر أن لابن سعود، على أسس أخلاقية بحتة، دعوى لا تُدحض».

In the previous section I had have occasion to refer briefly to the mutual incompatibility of the ambitious of the Sharif and Ibn Saud. The subject was not only of first – rate importance in relation to the work of the Najd Mission during the period under report , but deserves very serious consideration in the relation to the plans of H.M.'s Government for the future of the Arab World ". (p. 26)

تُرجمت «في القسم السابق من هذا التقرير كانت هناك مناسبة للإشارة باختصار إلى تضارب طموحات الشريف وابن سعود. ولم يكن الموضوع مقتصرًا على كونه ذا أهمية من الدرجة الأولى بالنسبة لعمل البعثة النجدية خلال الفترة التي يغطيها هذا التقرير، لكنه يستحق، أيضًا، تفكيرًا جادًا بالنسبة لخطط حكومة صاحب الجلالة لمستقبل العالم العربي». (ص ١٧٣) وإذا استُبعد هدف الاختصار يمكن القول: - «أُتيحت لي في القسم السابق فرصة الإشارة باختصار إلى التعارض المتبادل لطموحات الشريف وابن سعود. ولم يكن الموضوع ذا أهمية عالية المستوى لصلته بعمل بعثة نجد خلال المدة المستعرضة فقط، بل يستحق اهتمامًا في غاية الجدية لصلته بخطط حكومة جلالته الخاصة بمستقبل العالم العربي».

The Sharif has only himself to thank for the bitterness , which exists between himself and Ibn Saud.(p.28)

تُرجمت «ويجب على الشريف ألا يلوم إلا نفسه على التوتر الذي يوجد بينه وبين ابن سعود»

(ص ١٢٨) ويمكن ترجمة العبارة بصيغة أطول هي «ليس للشريف سوى نفسه يشكرها على العداء المرير القائم بينه وبين ابن سعود».

My greatest hope that some time must necessarily elapse before the Sharif could renew his operations. (p. 33)

تُرجمت «ويكمن أعظم أمل لي في أنه من الضروري أن يمر بعض الوقت قبل تَمَكُّن الشريف من تجديد عملياته» (ص ٢٠١). وبصرف النظر عن الاختصار يمكن أن تكون العبارة «وأكبر أمل لدي هو وجوب انقضاء بعض الوقت بالضرورة قبل أن يستطيع الشريف استئناف عملياته».

From time to time , and notably on one occasion , when a consignment of money appears undoubtedly to have got through from Madina to the Turkish forces in Yemen ...(p. 35)

تُرجمت «من وقت إلى آخر خاصة في مناسبة معينة تأكد فيها أن بضاعة من النقود انطلقت من المدينة (المنورة) إلى القوات التركية في اليمن» (ص ٢٠٨) ويمكن أن تأتي العبارة بصيغة أطول هي «من حين لآخر، وبالذات في مناسبة واحدة جديرة بالذكر، حين بدا مؤكدا أن إرسالية من النقود قد مرت من المدينة إلى القوات التركية في اليمن».

In view of the often –repeated reluctance of H.M.'s Government to supply Ibn Saud with arms and the High Commissioner's insistence on the inadvisability of strengthening the Wahhabi forces on account of the possible development of a Wahhabi menace. (p. 36)

تُرجمت «لقد تكررت معارضة حكومة صاحب الجلالة لإمداد ابن سعود بالأسلحة، كما تكرر إصرار المندوب السامي (في مصر) على عدم استحسان تعزيز قواته خوفًا من تطور محتمل للخطر الوهابي» (ص ٢١٢) ويمكن أن تصاغ الترجمة بعبارة أطول كما يأتي:- «بالنظر لممانعة حكومة جلالته المتكررة غالبا في تزويد ابن سعود بالأسلحة، ولإصرار المندوب السامي على عدم تحبيذ تقوية القوات الوهابية بسبب النمو المحتمل للتهديد الوهابي».

والقارئ الكريم لاحظ بعد اطلاعه على صياغات المرحوم العثيمين المستعرضة أعلاه توخيه الاختصار دون تضحية بالمعنى العام الذي استهدفه مؤلف النص الأصلي.

أمثلة على الصنف الثاني:

"I was privileged " (p. 1)

اختار لها المترجم عبارة «حظيت» (ص ٧٣) المألوفة في اللغة العربية بدل القول «نلت امتياز».

" to treat " (p. 1)

فضل ترجمتها «للتباحث» (ص ٧٣) بدلا من «للتعامل» أو «للتفاوض».

The Great War (p. 1)

اختار لها التسمية الشائعة «الحرب العالمية الأولى» (ص ٧٥) بدلا من «الحرب العظمى» غير الشائعة لدى الجمهور العربي.

Desert tribes (p. 4)

ترجمها «القبائل البدوية» (ص ٨٩) بدل القول «قبائل الصحراء».

Dhow (p.4)

فضل ترجمتها «قارب شراعي» (ص ٨٩) بدل القول «داو» أو «دحو» كما فعل مترجمون آخرون.

To mobilize for action (p. 6)

ترجمها «يستعد للعمل» (ص ٩٦) بدل «التعبئة للقتال».

The positions of Ibn Rashid and Ibn Saud in Central Arabia were reversed (p.10)

تُرجمت العبارة المارة «وانقلب ميزان القوة بين ابن رشيد وابن سعود في وسط الجزيرة العربية»، واختار المترجم – على غير عادته – تعبيرًا طويلًا من أجل إيضاح المعنى للقارئ بدل القول باختصار «انقلب وضعا ابن رشيد وابن سعود في نجد».

Episode (p. 32)

اختار لها المترجم كلمة «مأساة» مقابلًا (ص ٩٦) رغم أنه ليس من معانيها المحددة، ولكنه أراد أن يقرب الحدث لذهن القارئ فاعتبر ما حدث في «الخرمة» مأساة وليس مجرد صدام حربي.

أمثلة على الصنف الثالث:

من نافل القول التنويه بأن أي جهد بشري لا بد أن يعتريه شيء من السهو أو الخطأ مهما كانت درجة حرص صاحبه على الدقة. ولذلك لم تخل ترجمة المرحوم العثيمين من هنات بسيطة هنا وهناك، ولكنها ذات طبيعة هامشية لم تؤثر في دقة الترجمة، كما أنها قليلة في عددها، و «كفى المرء نُبْلًا أن تعد معايبه». ومن أمثلة ذلك:

Officiating (p.1)

سقطت من ترجمة عنوان تقرير فيلبي إلى المندوب السامي «وكالة» وذلك نتيجة سهو بالتأكيد.

I travelled by rail to Zubair (p. 6)

تُرجمت «سافرت عن طريق البحر إلى الزبير» (ص ٩٥) وهو سبق قلم دون شك.

Stores and equipments (p. 6)

تُرجمت «ذخائر ومعدات» (ص ١٠٠) والأفضل ترجمتها «مؤن وتجهيزات» حسبما يقتضي سياق الكلام.

Post (p. 8)

تُرجمت «وظيفة» (ص ١٠٦) ولكن سياق الكلام يظهر أن المقصود هو الموضع المكاني.

Representations (p. 9)

تُرجمت «تقارير» (ص ١٠٨) بينما المعنى المقصود هو «احتجاجات».

Leachman (p.9)

عَرَّبَ اسمه «ليخمان» بالخاء (ص ١١٠ وصفحة لاحقة) وهو سبق قلم، أيضًا، إذ لا يخفى على مؤرخ متبحر في تاريخ المنطقة اسم ذلك الضابط البريطاني الذي طبقت شهرته آفاق الشرق العربي.

It was satisfactory to note (p. 10)

تُرجمت «كان من الممكن أن يقال» (ص ١١٣) والأحرى أن تترجم «كان من المرضي ملاحظة».

A bone of contention (p. 10)

تُرجمت «جوهر الخلاف» (ص ١١٢) ولو ترجمت «موضوع الخلاف» لكانت أدق.

Durbar (p. 13)

تُرجمت «احتفال» (ص ١٢٥) ولكنها تعني في أصلها الأوردي «اجتماع القادة».

أمثلة على الصنف الرابع:

يتصف المرحوم العثيمين بما وُهِبَ من شاعرية رقيقة، وما فُطِرَ عليه من لطف الطباع، بالنفور من فظاظة القول وخشونة اللفظ. فلم يلاحظ عليه فيما أَلَّف من كتب وما خاض من سجالات علمية استخدام عبارات جارحة أو كلمات حادة. فلا يستغرب لذلك أن ينسجم في ترجماته مع فطرته فيهذب ما قد يرد في النص المترجم من عبارات جافية ويُبدلها بعبارات هادئة موزونة يحسن انتقاءها بما له من قدرة لغوية وما يمتلكه من حصافة وحسن تقدير.

ومن أمثلة ذلك:

Apart from the fanatical inhospitality and aloofness of the people themselves , the long- standing friendship of Britain and Turkey precluded anything like political recognition by the former of the latter's rebellious and independent dependency (p. 1)

تُرجمت «ففضلًا عن تشدد السكان النجديين تجاه الآخرين وقوة الروح الانعزالية لديهم فإن الصداقة الطويلة الأمد بين بريطانيا وتركيا حالت دون أي اعتراف سياسي بريطاني بمن ثار على الأتراك» (ص ص ٧٥) فانتقى المترجم مفردات نقلت المعنى الذي أراده كاتب النص مع تجنب ذكر ما زعمه من تجرد السكان من كرم الضيافة جراء تعصبهم وتعاليهم.

Najd whose fortunes during the interval were rudely shaken by the aggression of the newly risen Rashid dynasty at Hail (p. 1)

تُرجمت العبارة «ونجد التي تعرضت لهزات مدمرة خلال هذا الانقطاع من قبل الحكم الرشيدي الذي قام حديثًا في حائل» (ص ٧٧). فتجنب المترجم بالصيغة المختصرة لترجمته للعبارة ذكر وصفي «الفظاظة» و«العدوان» اللتين وردتا في الأصل.

A lad of about 19 (p. 19)

ترجمها «البالغ من العمر ١٩ عامًا» (ص ١١٢) مستبعدًا صفة «صبي» التي قد توحي بالاستصغار.

Saad , by his advocacy of shameless act of treachery richly deserved the fate which overtook him (p. 12)

ترجمها «وإن سعدًا باقتراحه التصرف السيئ استحق المصير الذي لقيه» (ص١٢٤) فتجنب بهذه الصيغة المختصرة ذكر نعتي «مخزٍ» و «غادر».

ولا يعني إعراض العثيمين عن ذكر النعوت الجارحة تنكبه للأمانة العلمية. فهو لم يحذف معلومة ولم يطمس رأيًا لكاتب النص مجاملة لجهة ما، يدل على ذلك إقدامه على ترجمة عبارات وردت في النص الأصلي ووجهت نقدًا مباشرًا لعاهل البلاد نفسه.

ومن ذلك:

The whole responsibility for the tragedy rests on nobody but himself (p. 12)

فقد ترجم العثيمين العبارة بقوله: «إن المسئولية الكاملة للمأساة لا تقع إلا على كاهله» (ص ١٢٥).

وترجم في موضع آخر عبارة فيلبي

Ibn Saud's dispositions were justly open to the criticism (p. 21)

«وبالرغم من ذلك فإن تصرفات ابن سعود كانت بإنصاف محل نقد» (ص ١٥٦).

وعند تَذَكُّر أن الترجمة تمت بإيعاز من الملك سلمان وعُرِضَتْ عليه قبل نشرها يغدو من دواعي الإنصاف الإشادة بأمانة المترجم الذي لم يسع لمجاملة المليك. كما يستوجب الأمر إبداء الإعجاب برحابة صدر العاهل الذي أدرك متطلبات النشر العلمي، وكان له من الثقة بالنفس ما جعله يطلع على ذلك النقد ولا يمانع في نشره بين الناس.

الخاتمة:

استكمل العثيمين، طيب الله ثراه، شروط المترجم المتميز، فهو ضليع في اللغتين المنقول منها والمنقول إليها. وهو متبحر في مواضيع النصوص التي ترجمها، إذ كان يختارها وثيقة الصلة بتخصصه الأكاديمي ومجاله البحثي الذي كان فارسًا معلمًا من فرسانه، دارسًا، باحثًا، مؤلفًا

متابعًا، حتى ليمكن القول دون مبالغة إن معرفته بالموضوعات التي ترجمها أوسع من معرفة كاتبيها. فقد تناولوها هواة طارئين بينما انكب عليها انكباب المختصين المحترفين. وهو فوق هذا ابن البيئة يعرفها معرفة المرء زوايا بيته. فلا يستغرب لهذا إن كثرت استدراكاته على نصوص أولئك الأجانب فحفلت هوامش الترجمات بالكثير من التعريفات والإيضاحات والتصويبات. وغدا بذلك شريكًا لكاتبي تلك النصوص وصدقت فيه مقولة: «المترجم مؤلف ثان».

وأظهر البحث اتسام ترجماته بعدد من السمات العامة أبرزها:

تركيز الاهتمام على المعنى العام الذي قصده صاحب النص أكثر من الحرص على نقل الألفاظ والجمل الواردة في ثناياه بأكملها.

- الأمانة في الترجمة وعدم تغييب أي معنى ورد في النص.
- تهذيب القليل من الألفاظ الحادة والعبارات الخشنة التي قد تسيء إلى القراء وإيراد معانيها دون مبانيها.
- التسامح الفكري والتفهم الراقي لما ورد في نصوص الكُتّاب الأجانب من إساءات للعرب والمسلمين، وعَدُّهُ إياها وليدة تباين المنظور الثقافي، ورَدُّهُ عليها ردودًا هادئة دون تشنج أو ضجيج فارغ.
- حرصه الكبير على استخدام لغة علمية موضوعية مبرأة من داء الذاتية. فلم يستخدم صيغة المتكلم في جميع ترجماته التي أُخضعت للدراسة إلا في مواضع نادرة للغاية ودون أي تبجح أو ادعاء.
- لا تخلو الترجمات كأي جهد بشري من هنات ظهرت هنا وهناك، ولكنها من الندرة والهامشية إلى درجة لم تؤثر أدنى تأثير في روعة إنجازه في ميدان الترجمة.
- ومن نافلة القول التنويه بالمستوى اللغوي الراقي الذي ظهرت عليه ترجماته من سلامة لغة، ووضوح عبارة، وسلاسة عرض مما لا يُستغرب من شاعر مبدع.

ولا أملك في الختام إلا أن أستمطر شآبيب الرحمة على من خلد ذكره العطر بسمو خلقه وبروعة منجزه العلمي المتميز.

الهوامش

١. عبدالحميد، مصطفى، نظرية الجاحظ في الترجمة، في: المورد، مجلد ٧، عدد ٤، ١٩٧٨، ص ص ٤٢ – ٥٠.
٢. الحاج يعقوب، محمد الباقر، مقدمة إلى فن الترجمة، كوال لمبور، ٢٠٠٥، ص٨١.
٣. غزالة، حسن، مقالات في الترجمة والأسلوبية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٦١.
٤. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨، مجلد ١، ص ٥٤.
٥. المانع، محمد، توحيد المملكة العربية السعودية، ترجمة عبد الله العثيمين، الرياض، ١٤١٥، ص ١٠.
٦. نفسه، ص ص ١٠ – ١١.

٧. نفسه، ص ١١.
٨. للمرحوم العثيمين دعوة قديمة للاستعانة بالشعر النبطي في دراسة التاريخ الحديث والمعاصر. راجع:- العثيمين، عبدالله، الشعر النبطي مصدرًا لتاريخ نجد، في: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض ١٣٩٩، ج ١، ص ص ٣٧٧ – ٣٩٦.
9. (9) IOR /R/15747/1/ , Report on Najd Mission 1917- 1918 , p. 2.
١٠. فيلبي، سانت جون، بعثة إلى نجد، ترجمة عبد الله العثيمين، الرياض، ١٤١٩، ص ٧.
١١. نفسه، ص ٨.
١٢. بوركهارت، جون لويس، ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة عبدالله العثيمين، الرياض، ١٤٣٤، ص ص ٢٢ ٢٣.
١٣. نفسه، ص ص ٢٤ — ٢٥.
١٤. نفسه، ص ٢٦.
١٥. نفسه، ص ١٨.
١٦. نفسه، ص ٢٥.
١٧. ذكر العثيمين –رحمه الله– هذه المعلومة في مقدمة الترجمة (ص ١٥)، ولكن مسؤول قسم النشر في دارة الملك عبد العزيز أخطأ حين كتب في معلومات النشر المثبتة في باطن الغلاف إن النشر تم سنة ١٨٣٠. وحسم الرجوع إلى أصل الكتاب هذا التباين إذ أثبت دقة المترجم وسهو مسؤول النشر.
١٨. ذُكر في نص الترجمة (ص ١٨ وص ١٠٥) إنه «الفصل الثاني» فأثارت هذه المعلومة الاستغراب لأن الفصل السابع يبدأ بالصفحة المرقمة ٢٨٨ فكيف يبدأ الفصل الثاني بالصفحة رقم ٣٤٦ ؟! وزدات الحيرة بما ثبته مسؤول النشر في باطن الغلاف حين كتب أن عنواني الفصلين المترجمين هما:-

"Origin and Suppression of the Wahabees " and "The Civil Government and Religious Ceremonies of the Modern Arabs "

وتناقض هذه المعلومة ما ذكره المترجم في مقدمته. وتم حل الإشكال بالعودة إلى أصل الكتاب الذي نص على أن عنوان الفصل السابع هو:

"History of the Wahabees"

وذكر إن عنوان الفصل الثامن هو:

"Social State of the Arabs"

راجع:

Crichton , History of Arabia , Ancient and Modern , p.10 , on babel.hatitrust.org

١٩. كرايتون، أندرو، تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية، ترجمة عبد الله العثيمين، الرياض، ١٤٣٤، ص ١٨.
٢٠. نفسه، ص ١٦.
٢١. نفسه، ص ٧١.
٢٢. نفسه، ص ١٠٣.

الوطنية في شعر عبد الله الصالح العثيمين

أ.د. محمد بن عبد الرحمن الهدلق

أستاذ بكلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض

الدكتور عبد الله الصالح العثيمين شاعر وطني من مدينة عنيزة ، وهذه المدينة أطلق عليها الرحالة والمؤرخ البريطاني الشهير عبد الله فيلبي لقب «باريس نجد»[1]، وذلك لأن أهلها من أكثر أهل نجد انفتاحا وسعةَ اطلاع على ما لدى الغير؛ سواء في الشام، أو العراق، أو الكويت، أو غير ذلك، إضافة إلى ما يتمتع به أهلها من دماثة خلق، وحسن تعامل.

ولا نعلم بالضبط متى بدأ عبد الله العثيمين في نظم الشعر[2]، ولكننا نعرف أن بعضَ أقاربه، وأصدقائِه، وزملائِه كانوا ينظمون الشعر، ولا بد أنهم كانوا في لقاءاتهم يتناشدون الشعر، وكان عبد الله يجاريهم في ذلك.

وليس بين يدي الباحث شعرٌ مدونٌ له في هذه المرحلة، ولكن يغلب على الظن أن التحاقه بالمعهد العلمي بعنيزة في السبعينيات الهجرية/الخمسينيات الميلادية من القرن الماضي كان نقطة تحول في تكوينه الشعري؛ فقد كان في المعهد العلمي نادٍ أدبيٌ يشارك فيه الأساتذة والطلاب بكلمات وقصائد، وكان التنافس بين الطلاب في إبراز إبداعهم الشعري والنثري على أشده. وكانت الحياة السياسية في الوطن العربي آنذاك ملتهبة فكانت نكبة فلسطين حاضرة بقوة في أذهان الناس يؤججها ما تتناقله الأخبار من أعمال إبادة يقوم بها الصهاينة، يضاف إلى هذا منظر بعض الأسر الفلسطينية المنكوبة التي كانت تتنقل بين مدن نجد في ذلك الوقت. وكانت الثورة الجزائرية ملتهبة أيضا، وكان مصير رموزها الخمسة الذين اختطفتهم فرنسا مثارَ حديثِ الناس ،ثم كان العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦ مُلهِمًا للكثير من الشعراء، وكان الإعلام المصري المجلجل، ودعوة الرئيس المصري الأسبق جمال عبدالناصر إلى الوحدة بين الأقطار العربية، ثم تحقُّقها جزئيا بين مصر وسوريا في الثاني والعشرين من فبراير ١٩٥٨،ثم دعوته إلى ما عرف «بالقومية العربية» ،ثم ثورة العراق في الرابع عشر من يوليو ١٩٥٨، وأحداث لبنان في العام نفسه، كان ذلك كلُّه مصدرَ إلهام للشباب المتعطش إلى النهوض بأمته ووضعها في مصاف الأمم المتقدمة.

وقد سبق لي أن تحدثت في أكثر من مناسبة عن الدكتور «عبد الله العثيمين شاعرا وأكاديميا»[٣]، وقد ذكرت في تلك المناسبات أنه نظم الشعر في كثير من الأغراض الشعرية، وأوردت بعض الأمثلة على ذلك .

ومن أجل أن لا أكرر ما قلته فسأقصر حديثي في هذه الورقة على بعض نتاجه الشعري الذي يتناول همومَ الأمة العربية، وآمالَها، وانكساراتها .

والدكتور عبد الله شغلته قضايا أمته كثيرا حتى صارت هاجِسا يؤرقه إلى درجة لا يصدقها إلا من عرفه عن قرب، وتزخر دواوينه الكثيرة بالشكوى والإحساس بالمرارة. وكم من مرة اشتكى إليَّ من أنه لم يستطع النوم بسبب ما شاهده في التلفاز من صور القتل والتعذيب، والتشريد، واستباحة الحرمات.

وقد تحدث عن هذه الهموم في مؤلفات نثرية كثيرة، تاريخية وفكرية، ومن بين ذلك:

- مقالات عن الهم العربي.
- كتابات عن التصهين.
- خواطر حول القضية.
- مقالات عن قضايا عربية.
- عام من الذل والانخداع.
- بيع الوطن بالمزاد العلني.
- خواطر حول الوطن والمواطنة.
- تأملات في التاريخ والفكر.
- عن الوطن وإليه.
- قراءات في كتابات عن تاريخ الوطن.

وعلى الرغم من أهمية هذه المؤلفات، وما تزخر به من شواهد على وطنيته الصادقة، فإنني لن أتعرض إليها هنا لأن هذه الورقة مخصصة للحديث عنه شاعرا وطنيا .

أما الدواوين الشعرية للدكتور عبد الله فهي:

- بوح الشباب.
- دمشق وقصائد أخرى.
- عرس الشهباء وقصائد أخرى.
- مشاعر في زمن الوهج.
- عودة الغائب.
- في زفاف العروس.
- لا تلوموه إذا غضبا.
- لا تسلني.
- صدى البهجة.

كما أن للدكتور عبد الله ديوانَ شعر باللغة العامية المحلية عنوانه (نمونة قصيد).

وسوف أقوم بعرض أمثلة من أشعاره في القضايا الوطنية العربية من خلال ما تضمنته الدواوين المذكورة أعلاه.

أولًا: الأمة العربية عامة.

في الخمسينيات والستينيات الميلادية من القرن الماضي كان ثمةَ دعواتٌ قويةٌ إلى الوحدة العربية وذلك من أجل مقاومة المحتل وإعادة مجد الأمة العربية ،وقد لقيت هذه الدعوة

تأييدا قويا من الشعوب في الأقطار العربية كافة، وقد ظهر لهذه الدعوة صدى قوي عند شعراء العربية، ومن بينهم الدكتور العثيمين. فقد كتب في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م قصيدة عنوانها (يقظة العُرب) قال فيها:

لم أكن أُحسن القريض ولولا ... يقظة العُرب ما همت بنبس
يقظة العرب أشرقت وتجلت ... تتحدى الطغاة من كل جنس
رفعوا راية الكفاح وشادوا ... وِحدة الصف فوق أثبتِ أس[٤]

وفي قصيدة أخرى نظمها في عام ١٩٥٨ وعنوانها (إشراقة أمل) قال:

عانقي النور أمتي فسنا الفجرِ تجلى وموكبُ النصرِ لاحا
وبدا في رحابها الأملُ الحلوُ جميًلا مرفرفًا وضاحا
أملٌ طالما اشرأبت له العُربُ وزفت لفجره الأرواحا
أمتي وثبةٌ أزاحت طغاة لم يَدُر في خيالها أن تُزاحا
وتلظت عروبةٌ تسْحقُ الغربَ وتودي بتابعيه اكتساحا
تمتطي صهوةِ النضالِ إلى المجدِ وللعز تستقلُّ الكفاحا
سوف تجتث كلَّ من دنس الأرضَ خداعًا وخسًّة ووقاحا
فهنيئا لها المُنَى إذ أطلت ترتدي روعة الجمال وشاحا[٥]

وفي قصيدة حديثة نشرها في عام ١٤٣١هـ/٢٠١٠م نلاحظ تكسُّرَ آمالِه التي عبر عنها في قصائدَ سابقةٍ فنظم قصيدًة طويلة بعنوان (عامٌ من الذل) يقول فيها:

عام من ذُلٍ قد أدبر ... وملامحُ عزٍّ لا تظهر
عام قد دشَّنهُ بوشٌ ... فتولى مقودهُ الأسمر
عفريتٌ لكن من إنسٍ ... سحريٌّ المنطق والمظهر
صارت من فيض براعته ... بالقولِ جماعاتٌ تَسْكَر
وبدا في القول مَن انخدعوا ... بجميلِ اللفظ هم الأكثر
فغدوا للغاصب خُدَّامًا ... أو جندًا من بين العسكر
يبدون الطاعة في خوف ... مِمَّن بالأمر قد استأثر[٦]

والقصائد التي يتحدث فيها العثيمين عن الأمة العربية كافة، وهمومِها، وآمالِها كثيرة . واستثمارا للوقت المحدد لهذه الورقة سأكتفي بالأمثلة القليلة السابقة عن الأمة العربية عامة، وأنتقل إلى الحديث عن تفاعل هذا الشاعر مع الأحداث التي مرت بها بعض الأقطار العربية وذلك وفقًا لما أكثر مِنْ قول الشعر فيه. ويأتي في مقدمة ذلك:

ثانيًا: فلسطين.

حظيت القضيةُ الفلسطينية بنصيب الأسد من اهتمام الدكتور عبد الله العثيمين وذلك بسبب فداحة الكارثة التي حلت بأهل فلسطين، فلا يُعرف في التاريخ الحديث أن شعبا عانى من الظلم، والتنكيل، والتهجير ما عاناه هذا الشعب الأبي، وقد حصلت لهذا الشعب كوارثُ لم يحصل مثلُها لأيِّ شعبٍ آخر، فجريمة القتل البشعة في دير ياسين، وما أعقبها من جرائم حفرت جرحا داميا في جبين هذا الشاعر المرهف الحس، ولذلك ظل إلى آخر حياته يرفض أي قبول لهذا المحتل الآثم تحت أي مسمى، وتحت أي ظرف من الظروف. وظل، منذ بدأ في نظم الشعر، يدافع عن هذا الشعب إلى أن انتقل إلى جوار ربه. وعندما كان في البعثة في مدينة إدنبره ببريطانيا في الستينيات وأوائل السبعينيات الميلادية من القرن الماضي كان ينافح عن هذا الشعب بالحوار والنقاش في كل ندوة ومناسبة يحضرها، وكان كلامه يلقى في الغالب قبولا من كثير من الحاضرين. ولا أزال أذكر الجهدَ الكبيرَ الذي قام به مع زملاء عرب آخرين في مطلع السبعينيات الميلادية، أدى إلى قيام اتحاد الطلاب بجامعة إدنبره باستبعاد ممثلي الطلاب الإسرائيليين من عضوية الاتحاد وإحلال ممثلي فلسطين محلهم، وكذلك سعيَه مع زملاء فلسطينيين إلى إقناع اتحاد الطلاب بجامعة إدنبره بدعوة بعض الإسرائيليين المعادين للصهيونية لإلقاء محاضرات في الجامعة يكشفون فيها عن عنصرية الصهاينة وجرائمهم وذلك من باب (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) ، ومن مثل:(وشهد شاهد من أهلها) و من بين هؤلاء الناشط الإسرائيلي (أكيفا أور).

ولعل من أولى قصائده التي تحدث فيها عن فلسطين قصيدتين نظمهما في عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، وقال في التقديم للأولى منهما:

«كتبت بعد إلقاء الشاعر الزميل سليمان الشريف قصيدة في نادي المعهد العلمي بعنيزة سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م»، وعنوان القصيدة (يقظة العرب). وهي قصيدة سينية تذكرنا بسينتي البحتري وشوقي، وفيها نجد الكثير من الأمل في يقظة العرب وإيقاف إسرائيل عند حدها، وفيها يقول:

يقظة العرب أشرقتْ وتجلَّت ... تتحدى الطغاةَ من كل جنس
رفعوا راية الكفاح وشادوا ... وحدة الصف فوق أثبت أس
فاعترى طغمةَ اليهود ذهولٌ ... وأصيبت مما رأته بِمسِّ
قال بنْ جوريون الزنيمُ سأقضي ... في ليالي الربيع عيدي وعُرسي
سأشن الهجوم حتى أواري ... قوة العرب تحت أنقاض رمس
لينفذْ هجومَه أي وقت ... فسيُلقى عليه أصعب درس
أيفوت الأسودَ من رام غدرًا ... أن ينال الحمى العزيزَ بِدوسِ؟[٧]

أما القصيدة الثانية فقد قال في التقديم لها إنها، أيضا، قد (كُتبت بعد الاستماع إلى قصيدة ألقاها الزميل الشاعر سليمان الشريف في معهد عنيزة العلمي سنة ١٣٧٥هـ)، وعنوان القصيدة « تجدد أحزان»، وفيها يقول:

أيا شاعِري رفقا بقلبٍ معذب ... فإني على ما سرتَ في الحزن سائر
أبيت مع الآلام والليل جاثم ... أسائل أفلاك السما وأسامر
خليلي: كلانا في الحياة مكبل ... يجرَّعُ من أسقامها وهو صاغر
ففي المغرب الدامي تمزَّقُ أنفس ... ويُقتل أطفال وتُسبى حرائر
وشعبُ فلسطين المشردُ في العرى ... عليه من الرجس الدخيل مخاطر
تهدِّدهُ ظلما ومكرا وخدعة ... عقاربُ من صنع الطغاة كواسر
وتوشك أن تقضي عليه عصابة ... لها من لصوص الغرب عونٌ وناصرُ
ونحن يدوي في الفضاء كلامُنا ... نكاثر في قواتنا ونفاخر
وما طائرات «الميج» تشفي غليلنا ... إذا لم تساندها أباة قساور[٨]

ففي هذا الوقت المبكر نرى كم كان الدكتور العثيمين مهموما بقضايا أمته، يسيطر الحزن على قلبه وذلك بسبب ما يجري لأمته ولا يستطيع فعل شيء تجاهه؛ ولذلك فهو لا يملك سوى أن يبيت مع الآلام، ويتجرع أسقام الحياة مثلما يفعل زميله الشاعر سليمان الشريف. ونلاحظ أيضا كيف أدرك في ذلك الوقت المبكر رداءة الإعلام العربي فنحن نجيد صناعة الكلام، ونفاخر بكثرة قواتنا ،وأنواع الطائرات التي تملكها جيوشنا ولكننا في واقع الأمر لا نفعل شيئا ذا بال.

وفي قصيدة أخرى عنوانها (صدى العيد) نظمها معارضا أبا الطيب المتنبي في قصيدته التي هجا فيها كافورا الأخشيدي، وقد افتتحها ببيت المتنبي الشهير:

«عيدٌ بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمرٍ فيك تجديدُ»

هذا السؤال مليكُ الشعر سيِّدُه ألقاه فالدهر إنشاد وتغريد

تحدث فيها عن كثير من المآسي التي أصابت عددا من الدول العربية، ومما قاله عن فلسطين:

غدت فلسطينُ أشلاءً ممزقة وحلَّ في أهلها فتكٌ وتشريدُ

والقدسُ غيَّرَ محتلٌّ هُويتها وانتابها من يدِ الأوباش تهويد

والسادرون من الحكام ديدنهم في كل نازلة شجبٌ وتنديد

هاموا وراء سراب السِّلم زادُهُمُ من عمِّهمْ سامٌ توجيهٌ وتعميد

وطاعة السَّيد الجبار واجبةٌ لها بشرع سُكارى الذل تأكيد

باعوا المواطن كي تبقى مناصبُهم يحيطها من رضا الأسياد تأييد[٩]

وفي قصيدة أخرى نشرها في جريدة الجزيرة عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م وعنوانها (هل لنا من أرب) يفتتحها بالقول:

هل لنا من أربِ يا رجال الفكر والأدب

أن تعود القدسُ خالصَة لبني الإسلام والعرب

حرَّة من رجس صهينة دينُها تجريح كلِّ نبي

ويعيد العربُ عزَّتهم بشبا التصميمِ والغضب

فالأماني لا تحققها أسطرٌ في باطن الكتب

ثم ينتقل في هذه القصيدة إلى الحديث عما يجيده العرب وهو الكلام، وتوزيع الألقاب، وإهمال العمل:

والسؤال الصعب: هل أملٌ يرتجى من سادة نُجُب

والجواب الحقُّ أوضحَهُ من أُذيقوا وطأةَ النُّوَبِ

منْ رجوتم ،وصْفُ حالتهم دون تزييف ولا كذبِ

قادةٌ سنوا لهم رُتَبًا مُيِّزت من سائر الرُّتب

قد عهدناهم أساتذةً في مجال القول والخطب

إن بدت في الأفق معركة فسيوفُ العزم من خشب

طلَّةُ التطبيع كم فتنت غارقًا في اللهو واللعب[١٠]

وفي قصيدة بعنوان (تساؤلات أمام العام الجديد) يقول عن فلسطين:

كنت أرجو أن أرى لي
في فلسطين بيارق
أن تعيد القدس
من جيشي فيالق
أن أرى يافا الشجية
تتباهى
مثلما كانت عروسا عربية
كنت أرجو
كنت أحلُم
كلُّ عام مرَّ بي
نهر مصائب
ينقضي عام
ويمضي بعده
عامٌ وعام
وأنا أغرق
في نهر المصائب
******

وانقضى بالأمس عامٌ
وُئدت فيه أحاسيس الكرامه
علمتني فيه أمريكا
المهانة
علمتني كيف أصغي
لترانيم اليهود
كيف أتلو عبثَ التلمود
من فوق المنابر
كيف تَختارُ الزعامات
لشارون السجود
كيف تُهدي
جندَه المحتلَّ
باقاتِ الورود[١١]

وقصائده عن فلسطين كثيرة جدا ولا يتسع الوقت المحدد لهذه الورقة لأكثر مما ذُكِرَ.

ثالثًا: الجزائر.

كان لثورة الجزائر مذاقٌ خاص في ألسنة الشعراء وعند معظم الناس؛ فهي ثورة شعب بأكمله ضد دولة استعبدته، وفرضت لغتها عليه لتطمس هُويته ثم ضمته إلى ممتلكاتها. وقد بقيت الجزائر مستعمَرَة لفرنسا مدة مئة واثنين وثلاثين عاما. وقد دفع الشعب الجزائري البطلُ ضريبةً كبيرة لاستقلاله ربما لا يوجد مثيل لها في التاريخ الحديث ،ولذلك تلقب الجزائر ببلد المليون شهيد. وقد تحولت إلى رمز للشعوب المناضلة من أجل التحرر على مستوى العالم. وعندما احتدمت الثورة الجزائريةً وعجزت فرنسا عن لجمها اختطفت خمسة من أبرز زعمائها، وهم: أحمد بن بيلا، ومحمد خيضر، ومحمد بوضياف، وحسين آية أحمد، ومصطفى الأشرف، وكانوا في طريقهم بالطائرة من الرباط إلى تونس. ظنت فرنسا أنها باختطافها لهم ستضعف الثورة ، وربما توقفها، ولكن النتيجة كانت بضد ذلك فالتهب النضال إلى أن ظفرت الجزائر لاحقا باستقلالها في الخامس من يوليو ١٩٦٢م.

هذا المخاضُ العسيرُ للاستقلال تابعه الناسُ وآزرُوه، وكان للشعراء على مستوى الوطن العربي شرفُ تدوينه وتأجيجه. والدكتور العثيمين واحدٌ من الشعراء العرب الذين أسهموا إسهاما فعالا في تسجيل ذلك النضال المشرف ،ففي عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م إبان الثورة الجزائرية كتب قصيدة عنوانها(هبت طلائعنا) يقول فيها:

قداسةُ الثأرِ في الأعماق تلتهب ... وصولةُ الحق يُذكي نارَها الغضبُ
وثورة الشعبِ كالإعصار ما برحت ... يصْلَى الأعادي من غلوائها لهبُ
هاجت ،لهيبُ الوغى والشعب موقدُها ... والطامعون وما اقتادوا لها حطب
وَجُرِّعَ المعتدون الكأسَ مُترعة ... من الحميم ومن آلامها شربوا
أيحسب الطغمةُ الأوباشُ ما جمعوا ... من العتاد وما ابتاعوا وما وُهِبوا
يجتاحُ ثورتَنا؟ ما شلَّ وثبتنا ... عن التقدم ذاك الجحفلُ اللجبُ
هبت طلائعنا كالأُسْد غاضبَةً ... في عدوها غمغماتُ الموتِ تضطرب
تواثبت من ذُرا أُوراس هائجةً ... فيوجههاصولةُالطاغينتنتحب[١٢]

وفي قصيدة أخرى بعنوان (الشباب والأمل) وهي تذكرنا بقصيدة أبي القاسم الشابي (إرادةِ الحياة) يقول العثيمين عن الجزائر:

بلانا الزمان بشتى الخطوب ... فلم يهتصرنا ولم ننكسر
فشعب الجزائر بين الورى ... علا صِيتُ أبطالِه واشتهر

أبى أن يذِلَّ لجورِ الطغاةِ ... وأن يستكين لحكم الغجر
وأقسمَ أن لا يكف الجهادَ ... إلى أن تولِّي فرنسا الدُّبُر
وقصفُ المدافعِ في مِسمعيه ... لُحُونُ الحياةِ ورجعُ الوتر
وبالحق صال على المعتدين ... ولا بد للحق أن ينتصر
وصالت فرنسا بظلم الطغاة ... ولا بد للظلم أن يندحر[١٣]

وبعد مرور أربعين عاما على استقلال دولة الجزائر أقيم فيها ملتقى شعريٌّ تحت عنوان: (الجزائر... أنشودة المجد)،وذلك في عام ٢٠٠٢م، وقد شارك فيه العثيمين بقصيدة عنوانها (أنشودة المجد) قال فيها:

أنشودةَ المجد .. يا ثغرًا تعشَّقَهُ ... مني الجَنَانُ بديعَ السِّحرِ مبتسما
أتيت أحمل صفوَ الحُبِّ من وطنٍ ... يضم طَيبةَ في برديه والحَرَما
آيُ الهدايةِ في ربعيهما نزلت ... نورًا به مادَ ركنُ الجهل وانهدما
وبين أحضانه نجدٌ نسيمُ صَبًا ... معطّرًا بعرارٍ في التلال نمَا
وجئت نهرَ وادٍ جادَ منبَعُه ... غيثٌ من الأمنيات المُمرعات همَى
أنشودةَ المجد يا أنشودةُ صدحت ... بها مواكبُ عُشاق العلا نغما
عشقت منذُ الصِّبا مغناكِ ملحمَةً ... من الإباءِ وسِفرًا يزدهي شمما[١٤]

رابعًا: العراق.

ظفر العراق بالكثير من اهتمام الدكتور العثيمين، وله فيه قصائد كثيرة من بينها قصيدة كتبها في عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م بعنوان (الشعب حُر)، هاجم فيها أحد أبرز الساسة العراقيين في العهد الملكي، وهو رئيس الوزراء الأسبق نوري السعيد، أحد مهندسي ما كان يُعرفُ بحلف بغداد، يقول فيها:

أرقُّ ألمَّ بمقلتي وعناءُ ... وأسَىً يمزِّقُ مُهجتي وشقاءُ
لِمَ لا وشعبُ الرافدين بأرضه ... تتحكم العملاءُ كيف تشاء
نوري السَّعِيدِ يعيش في أرجائه ... وكأنما هو حية رقطاء
تخِذَ الدسائس والخداع سياسة ... من وِزرها دارُ السلام براءُ
ما حلفُ بغدادٍ سوى مثلٍ لما ... جادت به أفكاره الرعناء[١٥]

وفي العام التالي ١٩٥٨م قام عبد الكريم قاسم ورفاقُه بثورتهم في الرابع عشر من تموز التي قضوا فيها على الملكية في العراق فنظم العثيمين قصيدة قال في التقديم لها: إنها صدى لهذه الثورة، وعنوان القصيدة (مولدُ الصباح)، وهي أيضا تذكرنا بإحدى قصائد أبي القاسم الشابي:

أمةَ العُرب عانقي بسمة النور ... وحيِّي سنا الضياءِ الوليدِ
واهتفي للصباح ينساب في الأفق ... ضحوكًا بثغر عهد مجيد
والأماني ... ويا لَحُلوِ الأماني ... مائساتٍ بقدها الأملود
في حمى الرافدين أشرق عهدٌ ... فهنيئًا بصبح هذا العيد
عيد شعب مضى يحثُّ خطاه ... نحو أهدافه بعزم وطيد
وامتطى صهوةَ الكفاح فخرَّت ... تحت أقدامه حصونُ العبيد
أيفرُّ الطغاة من قبضة الشَّع ... ب وللشعب قبضةٌ من حديد
مزقت ثورةُ الأُباةِ قوى الظل ... مِ بيومٍ مُخَلَّد مشهود
هكذا سُنَّة الحياة فلا شيء بِمُو ... هِ جماحَ شعب مُريد
وإذا الشعب رام أن يَقهر الذُّل ... لَّ ويقضي على حياة القيود
باركته السماء في مبتغاه ... وتولت خطاهُ بالتسديد[١٦]

لكن الأمور لم تسر في العراق على ما أمَّلهُ الشاعر في قصيدته، فقد أطلق عبد الكريم قاسم أيدي الشيوعيين فعاثوا في العراق فسادًا: سحلا وتنكيلا، فنظم الشاعر قصيدتين تدينان أفعالهم الوحشية، نظم الأولى في عام ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م، وهي بعنوان «باسمك اللهم»[١٧]، ونظم الأخرى في عام ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م، وعنوانها (رغم الخطوب)، قال في الأخيرة منهما بعد أبيات كثيرة:

وفتى بأرض الرافدين يعجُّ في دمه الضَّرَم
متحفزًا متوثبَ الإقدام ... ملتهبَ الشمم
رغم العلوجِ الحمرِ يهزأ بالزعيم وبالحَكَم
والثأر في أعماقه دَوَّى: سنجتاح القزَم
صنمُ الرفاق غدًا سنهدمه ومن شادوا الصنم
ونزيح عن بغدادَ كابوس التعاسة والألم[١٨]

وبعد أن احتلت أمريكا العراق في عام ٢٠٠٣ بحجة البحث عن أسلحة الدمار الشامل، ولم تجد شيئا كما هو معروف، عملت على إثارة الفرقة بين أبنائه وذلك بأن سلمت الحكمَ فيه إلى عملاءِ لها، وهنا نجد الشاعر يجأرُ بالشكوى من جور أمريكا، ومما حصل للعراق فنشر في عام ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، قصيدة بعنوان (نهرٌ من العجب)، قال فيها:

مَنْ يكابرْ في تجاهله ... حيفَ أمريكا على العرب
فهو جافٍ عند أمته ... موجباتِ الدينِ والنسبِ
مثلُ مَنْ قد باع موطنه ... لذوي الطغيان «كالجلبي»
كل مَن في الأرض قد علموا ... سادة التزييف والكذب
ورأوا بلوى جرائمهم ... تملأ الدنيا مدى الحِقب
يا زماناً بات مُمطرُهُ ... إذ همَى نهرّاً من العجب
كيف لا يبدو لناظره ... ما بدا من جرمِ مُغتصِب
سُلَمت بغدادُ في طبقٍ ... -لعلوج الحقد- من ذهب
وتلظى في مرابعها ... مستطيرُ الرعب من لهب[١٩]

خامسا: مصر وسوريا.

كان لمصر في الخمسينيات والستينيات الميلادية من القرن الماضي دورٌ كبيرٌ في إيقاظ العرب، ودعم الدول التي كانت تكافح من أجل الاستقلال سواء أكانت دولا عربية أم غير عربية، وقد قامت بجهود كبيرة في سبيل ذلك أثارت الدول الاستعمارية وبخاصة بعد أن أمَّمَ رئيسُها السابق جمال عبد الناصر قناة السويس، وكان من نتيجة ذلك أن شنت بريطانيا وفرنسا وإسرائيل في عام ١٩٥٦م عدوانا ثلاثيا كانت له آثاره البعيدة ،وقد أُجبِرَ المعتدونَ تحت وطأة الاحتجاجات الدولية والشعبية إلى الانسحاب من مصر، وبرزت مصر بعد ذلك في صورة المنتصر على هذه الدول الثلاث.

وقد كان لهذا العدوان تأثيرٌ كبيرٌ على العرب جميعا، وقد تفاعل الشعراء العرب مع هذا الحدث، ومن بينهم الدكتور عبد الله العثيمين ،فقد نظم في عام ١٩٥٦ ثلاث قصائد الأولى بعنوان «أغنية لبور سعيد»[٢٠]، والثانية بعنوان «لبيك»[٢١]، والثالثة بعنوان «صمود»[٢٢].

ومما قاله في قصيدة لبيك:

لبيكَ يا وطنَ العرب ... فمعِينُ صبري قد نَضَب
وشروقُ نورِكَ قد قرُب ... وكمالُ نصرِك مُرتقب
رغمًا لأعداء الوطن

لبيك يا وطنَ الأباة الغاضبين على الغزاة
الثائرين على الطُّغاة الذائدين عن القناة
الحارسين حِمَى الوطن
لبيكِ مصر الغالية مهدَ الأسودِ الضارية
قاومت جيشَ الطاغية ورفعت رأسكِ عالية
رمز لأبناء الوطن[٢٣]

ومن قصيدة (صُمُود) نوردُ هذهِ الأبيات:

وعلى ضِفافِ النيلِ يرفع قائدٌ علمَ الإباءِ بهمة لا تُغلَبُ
جعل الكنانة قلعةً أركانُها تُخشَى من الباغي الحقودِ وتُرهَبُ
هال الغزاةَ الطامعينَ صُمودُه فالرُّعْبُ في مُهَجِ الأعادي مُشرَبُ
في مسمعِ الدنيا يُزمجرُ غاضبّاً: هيهاتَ -أعداءَ الحِمَى-أن تقربوا[٢٤]

ولما قامت الوحدة بين مصر وسوريا في الثاني والعشرين من فبراير عام ١٩٥٨م هلَّلَ لها العربُ ورأوا فيها نواةً للوحدة العربية الكبرى التي يأملونها، ولما مضى عامٌ على قيامها نظم الدكتور العثيمين قصيدةً بعنوان «ذكرى الوحدة» قال فيها:

أشرقي يا صفحةَ الخلدِ ابتساما قد رضيناك مَحّلًا ومُقاما
جيلُنا الصاعدُ في أعماقه ظمأٌ يهفو للقياكِ غراما
وعلى آفاقنا .. إشراقة حققت للعرب آمالًا جساما
فارقصي بِشْرًا وحيِّي أمةً شُغِفت بالوحدة الكبرى هياما
أمةٌ زَفَّت إلى هامِ العُلى وَحدةً رفَّت على القُطرَينِ عاما
نفحاتُ النيل هزَّت بردَى فمضى يُلقِي على النيل الخزامى
والتقى الإخوانُ من بعْدِ النوى ودموعُ البِشْر تنهل انسجاما
فغدا الشَّعْبان في قطريهما دولةً تأبى مدى العُمْرِ انقساما[٢٥]

ولكن هذه الوحدة لم تأبَ انقساما كما أمَّل الشاعرُ؛ وذلك أن سوريا قد انفصلت عن مصر في اليوم الثامن والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦١م.

ومن أجمل ما قاله في سوريا قصيدةٌ بعنوان (دمشق) وهي قصيدةٌ سمَّى أحدَ دواوينه باسمها، وقد ألقى القصيدةَ في دمشق في عام ١٤١٧هـ، بمناسبة أسبوع الجامعات السعودية في رحاب الجامعات السورية، وفيها يقول:

في مهجتي لربوعِ الشام تحنانُ صانت حُميَّاهُ أزمانٌ وأزمانُ
وأمطرته من التاريخ غاديةٌ فاشتد أصْلًا وماسَت منه أغصانُ
أتيت أحمِلهُ حرفاً تُسطِّرهُ مشاعرٌ وأحاسيسٌ ووجدانُ
وجئت يحملني عبر المدى قبسٌ مُعطَّرٌ بالشذى الفواحِ فتانُ
على جناحينِ ميمونين حفهما من مهبطِ الوحي والتنزيل إيمانُ
ومن عشيَّاتِ نجدٍ مُستطابُ صَبًا ريَّاهُ شِيحٌ، وقيصومٌ، وريحان
أتيت من وطني شوقًا إلى وطني وأرضُ يعربَ لي دارٌ وأوطان
عشقت وحدتَها منذ الصِّبا ورست لها بقلبي أساساتٌ وأركان
وسرت جيلًا فجيلًا ما اختفى علمٌ إلا بدا مَنْ به الأعلامُ تزدان
وانشقّ من كبد الصحراء فارسُها يحدو فتنقادُ أبطالٌ وفرسان
ويرفع الراية الخضرا مُوحِّدَة فتستجيب رُبَى عطشى ووديان
وتنتشي طربًا نجدٌ معانقةً للساحلين وتبدي الحُبَّ نجرانُ
مرابعٌ رحَبَاتُ المسجدين لها تاجٌ تتيه به فخرًا وعنوانُ
دمشق يا ألقَ التاريخِ ها أنذا قدمتُ إذ لوَّحَتْ لي منكِ أردانُ
قدمتُ ألثم مجدًا شادهُ نُجُبٌ بهم تشرَّف مروان وسفيانُ
وأجتلي فيلقًا يمضي فتتبعه فيالقٌ شاقها للنصر ميدانُ
أنت الحضارةُ إشعاعًا ومُنطلقًا وأنت منبتُ أمجادٍ وبستانُ[٢٦]

وهكذا نرى أن الدكتور عبد الله العثيمين قد نظم الكثير من الأشعار الوطنية التي تتحدث عن هموم الأمة العربية، وآمالها، وآلامها. وما أوردته في هذه الورقة لا يعدو أن يكون مجرد نماذج لما تزخر به دواوينه الكثيرة. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

الهوامش والتعليقات

١. ذكر الدكتور سعد الصويان أن عبدالله فيلبي هو الذي أطلق على عنيزة هذا اللقب وليس أمين الريحاني كما شاع على ألسنة بعض الناس، وقد ذكر، أيضا، أن الرحالة الشهير تشارلز داوتي، قبل فيلبي، قد أطلق على عنيزة اسم (أم نجد).

انظر: سعد الصويان، محاضرة بعنوان «عنيزة وأهلها في كتب الرحالة الأجانب» ألقيت في صالون صلاح السلَيم بالمنطقة الشرقية. انظر: www.saadsowayan.com/articles/puplectures/PL2.html

وقد اطلعت على نص المحاضرة بتاريخ ١٤٣٨/٣/٧ الموافق ٢٠١٦/١٢/٦.

٢. ذكر الشيخ عبد الله بن إدريس أن عبدالله العثيمين «ولد في عنيزة عام ١٣٥٦ للهجرة... وأنه في السابعة من عمره دخل مدرسة تعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب، ولكنه سئم هذه الدراسة فتوجه إلى الرياض وهو في الثانية عشرة فعمل سمسارا – دلالا-مدة سنة ونصف، ثم رجع إلى عنيزة ليصبح عاملا فلاحا. وبعد مدة من الزمن ألزمه والده دخول المدرسة أو الذهاب إلى الرياض فاختار المدرسة، وإن كان لها كارها، ودخل السنة الرابعة واستمر حتى حاز الشهادة الابتدائية، ومن ثم دخل المعهد العلمي بعنيزة وكان موفقا وناجحا في دراسته الأخيرة... والتحق بجامعة الملك سعود بالرياض عام ١٣٧٩...، انظر: عبد الله بن إدريس، شعراء نجد المعاصرون، دراسة ومختارات، الرياض، الطبعة الثانية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٨٩.

٣. تحدثت عنه أول مرة في الحفل التكريمي الذي أقامه له منتدى با محسون الثقافي بفندق ماريوت بالرياض مساء السبت ١٤٣٤/٧/١هـ الموافق ٢٠١٣/٥/١١م، ثم تحدثت عنه مرة أخرى في مهرجان عنيزة الخامس للثقافة الذي أقامه مركز ابن صالح الاجتماعي في عام ١٤٣٧، والذي كرَّم فيه عددا من الأدباء والعلماء من بينهم الدكتور عبدالله العثيمين، ثم تحدثت عنه ثالثة في الندوة التأبينية التي أقامها له مجلس الشيخ حمد الجاسر صباح يوم السبت ١٦ رجب ١٤٣٧هـ الموافق ٢٣ أبريل ٢٠١٦..

٤. عبدالله العثيمين، مشاعر في زمن الوهج، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر،١٤٣٠/٢٠٠٩،ص ٧-٨.

٥. المرجع نفسه، ص ٤٧ -٥٠.

٦. عبدالله العثيمين، لا تلوموه إذا غضبا، الرياض، مكتبة الرشد ،ط١، ٣٥ -٣٦.

٧. مشاعر في زمن الوهج، ص ٧-٨.

٨. عبدالله العثيمين، بوح الشباب، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٢٢، ٢٠٠١، ص ٤٥-٤٨.

٩. لا تلوموه إذا غضبا، ص ١١، ١٤-١٥.

١٠. المرجع نفسه، ص١٧-٢١.

١١. عبد الله العثيمين، لا تسلني، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ١٤٢٢/٢٠٠١، ص ٤٩-٥١.

١٢. بوح الشباب، ص ٥٥-٥٦.

١٣. مشاعر في زمن الوهج، ص ١٣-١٤.

١٤. عبدالله العثيمين، دمشق وقصائد أخرى ،الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٤/٢٠٠٣، ص، ٣٢ - ٣٤.

١٥. مشاعر في زمن الوهج، ص ٣٩ ٤٠.

١٦. المرجع نفسه،ص،٤١-٤٢.

١٧. بوح الشباب،ص٦٧-٧٠.

١٨. المرجع نفسه ،ص ٦٥.

١٩. لا تلوموه إذا غضبا، ص ٢٣- ٢٧.

٢٠. مشاعر في زمن الوهج، ص ١٥-١٦.

٢١. المرجع نفسه ،ص ١٧-١٨.

٢٢. المرجع نفسه، ص ١٩-٢١.

٢٣. المرجع نفسه، ص ١٨.

٢٤. المرجع نفسه، ص ٢٠.

٢٥. المرجع نفسه، ص ٥١-٥٢.

٢٦. دمشق وقصائد أخرى، ص ٦،٨-١٠.

العروبة بين الشك واليقين في شعر عبد الله العثيمين

أ. د. لويزا بولبرس
أستاذة بجامعة سيدي محمد بن عبدالله – فاس – المغرب

ليس في مقدوري في محاضرة محددة بزمن، أن أستعرض مختلف العوامل التي أسهمت في تشكيل المنجز الشعري للدكتور عبدالله العثيمين، رحمه الله. بالإضافة إلى أن ذلك يحتاج إلى مسح واف للمصادر الضرورية في هذا الشأن. غير أني من باب التجاوز أقترح أن نقرأ عبدالله العثيمين في إطار مثلث أضلاعه هي: النسب، والحسب، والأدب.

فأما النسب فأقصد به تأثره الواضح بوالده وبطريقة تكوينه له، وكذا بأخيه الذي قد يكون أخذ عنه فكرة المحافظة ومراعاة الاعتبار. فهو حينما كتب عن «الصحوة الإسلامية» وضع ضوابط وتوجيهات من أجل إنجاحها وإيصال نفعها.

وأما الحسب فأقصد به شغله لمنصب الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية مدة ثلاثين سنة، وهذه المهمة التي شغلها باقتدار كانت كافية لتمكينه من ملاقاة خيرة العلماء والأدباء والمثقفين موازاة مع كبار السياسيين والمسؤولين ذوي القرار. هذا بالإضافة إلى علاقته اللصيقة بصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل. ومثل هذا الوضع، ومثل هذه العلاقة لابد أن يدخلاه في نسق مراعاة المقامات والتحسب للحيثيات والحفاظ على التوازنات.

وأما الأدب فأقصد به ميله بطبعه إلى التراث بحكم تخصصه في التاريخ؛ بمعنى أن العودة إلى الماضي كانت تملأ روحه بالإعجاب إلى الحد الذي اكتفى فيه بالحرص على الاستعادة والإحياء، وتغليب الكلي على الجزئي، والموضوعي على الذاتي.

هذا المثلث المؤطر بالحس التاريخي كان يحمله على التنقل بين الماضي الجميل المخملي، والحاضر الشائك ذي النتوء. وهو ما جعله يعيش لحظة تشظٍ طويلة، عبر عنها بالتصريح تارة، وبالتلميح تارة أخرى.

ولأنه لم يكن يملك كتفي سيزيف ليحمل سقف حرية الكتابة إلى الأعلى؛ فقد اتخذ التأمل والتفكر، والشكوى ملاذا.

لذلك يمكن القول: إن شعره جرح نازف ملفوف بضماد من سخرية سوداء، كان يضطر معه إلى قمع ذاته، وكبح جماحها. وهي الذات المشرعة على المآسي، والجماح الممتد إلى الأقاصي.

لقد رضي للشعرية أن تجلس على الكرسي الخلفي في منجزه الإبداعي، وترك للشعور أن يتصدر الموقف، يعرض من خلاله كربلائيات تراجيدية، حزنه فيها ليس داخليًا أو فرديًا. كما الحال عند الشاعر المرحوم حمد الحجي في «عذاب السنين»[١]، ولكنه حزن عام يشترك فيه مع غيره لتشابه الأسباب والظروف. ولقد تعرض رائد من رواد النقد والأدب في السعودية لُقِّبَ بشيخ النقاد، هو المرحوم عبدالله عبدالجبار(١٩٢٠-٢٠١١) لهذه الظاهرة، وانتهى بعد استعراضه لبعض الحيثيات إلى أن: «فلسفة الحكم الخاصة التي يسير في خفارتها الأدب العربي في قلب الجزيرة العربية، قد أصابت هذا الأدب بالعقد، والمركبات النفسية. فهو من بعض الوجوه أدب كئيب حزين يعاني من الحرمان الشيء الكثير، ولو تخيلناه لكان رجلا يسير محني الظهر مثقل الخطى تؤوده الأغلال ويجر من خلفه السلاسل»[٢]. وهذا الحكم الذي قيل في إطار ما كان يُلقى من محاضرات عن الأدب السعودي في الستينيات من القرن الماضي بمصر، أرى أنه مازال ينسحب على المنجز الشعري السعودي. لنتذكر هنا الأمير الراحل الشاعر عبد الله الفيصل الذي نظم «وحي الحرمان» ووضع له مقدمة في الحرمان وَوَقَّعَهُ بمحروم. فكيف لمثله أن يكون محرومًا؟؟. وكيف عزت لديه الحيلة في الوصول إلى سمراءَ من حلم الطفولة؟؟.

قد يكون أمر ما في اللاوعي الجمعي للمنطقة، لم يطف بعد إلى السطح، ولم تفرغه مختلف الوسائل. والشاعر عبد الله العثيمين وهو في شرخ الشباب ، وفي مطلع أول قصيدة كتبها بعد عودته من دراسته باسكتلندا، يبرر للمتلقي طربه كأنما هو ملزم بالتبرير. يقول:

طربت، ماذا على المشتاق إن طربا
لما دنت لحظات نحوهن صبا[٣]

فلماذا هذا الاستدراك؟ ولماذا هذا التحفظ؟ ولماذا هذا الاعتذار والتبرير؟ إنه يستوحي في هذا البيت قصيدة الكميت، في مدح آل البيت :

طربت، وما شوقًا إلى البيض أطرب
ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعب؟

مع أنه يعود إلى آل بيته هو، في عنيزة الفيحاء. فلماذا لا يطرب؟ ولماذا احتاج إلى القول:

«ماذا على المشتاق إن طربا». ولماذا افتتح ديوان «بوح الشباب» - وهو من المفروض أن يكون في بوح الشباب- بقصيدة في «ليلة القدر»، مطلعها :

هي موعدي ياربَّ، كم تاقت إلى لقياك نفسي
لأزفَّ أشواقي لأبديَ نبضَ أعماقي وهجسي
لأبثَّك الشكوى، لأشرحَ فيضَ آلامي وتعسي
وأزيلَ بالوَهَجِ المشعشعِ من سنا رحماك بؤسي[٤]

إن الشاعر لم يؤطر هذه القصيدة بتاريخ يحدد زمن نظمها، لكن ضمها إلى مجموع نشره تحت عنوان «بوح الشباب»، يبعث على التساؤل، ويعكس اتجاهًا انفعاليًا لا شعوريًا يؤثر في الكتابة باعتبارها فضاء للتحرير الجزئي لمخزوناته. هو نوع من تأنيب الضمير، وملامة النفس، والشعور بالتقصير، يحضر في وجدانياته كما يحضر في وطنياته. فإذا ما عبَّر عن ذاته أنَّبها ولامها، ونسبها إلى العجز والتقصير. وإذا عبَّر عن أمته أنَّبها ولامها، ونسب إليها التقصير. وفي كلا الأمرين تراه ميالًا إلى جلد الذات مع نزوع إلى استمراء الجزء الفارغ من الكأس. يقول:

لست أدري لِمَ الخطوب اعترتني؟
وإلامَ القيودُ تدمي يدَّيا ؟
أيِّ ذنب جنيت؟ ما هو إثمي
لم أجئ في الحياة شيئا فريَّا
غير أني - وبالأحزان قلبي -
في جحيم الشقاء ما دمت حيَّا[٥]

ويقول :

كنت أسعى والرؤى الخضراء تبدو في طريقي
تتجلَّى باسماتِ الثغرِ كالزهرِ الفتيقِ
غير أن الأملَ الحلو أبادته الرياح
والليالي زفرةُ حرىَّ وندبٌ ونواح[٦]

ويقول:

مالي ولم تكن الخطوب تهزُّني ضعفت مقاومتي وخار جلادي
فمنحت للألم المروِّع مهجتي وتركت في كفِّ الشقاء قيادي؟[٧]

ويقول :

أتمنَّى لو تعلَّمتُ فهل ... يقبلُ البدر ابتهالَ الأُمنيةْ[٨]
أو سأبقى أصحبُ الجهلَ كما ... صحبَ العُشَّاق صوتَ الأُغنيةْ
لستُ أدري أُسُسي من خَشَبٍ ... والأساساتُ قوامُ الأَبنيةْ[٩]

ويقول فيما يتعلق بالأمة:

فَغُضَّ الطَّرفَ إنك يَعْربيّ ... تَمرَّغَ في المَذلَّةِ والهَوَانِ
يُداسُ على كَرامتِه فَيبدو ... قَريرَ العين مُغتبطَ الجَنَانِ
يُسبِّح تارةً بمديح بَوش ... وأُخرى بالنَّعيمِ الدُّونجواني
إذا ما شاءَ سَيِّده يُغنِّي ... ويَعزفُ -إن أَراد - على الكَمَانِ[١٠]

ويقول أيضًا:

صوتٌ من الماضي البعيد يهيب بي:
الصبر للمهموم خير عتاد
لَكِنَّ أرزاءً تطوِّق حاضري
جعلت نداء الأمس صيحة واد
لِمَ لا وما في الأفق إلا شرعةٌ
عُكِست وغيٌّ من إهاب رشاد؟
لِمَ لا ومن حولي تُسَنُّ قواعد
لأرى المحيط يعجُّ بالأضداد؟
وأرى يد الجلاَّد تقطر من دمي
فأبوسَ في شغفٍ يد الجلاد؟؟[١١]

هذا ما أردته بميل الشاعر إلى جلد الذات مع النزوع إلى استمراء الجزء الفارغ من الكأس.

وهكذا يظهر أن مثلث النسب والحسب والأدب الذي قلنا إنه يؤطر المنجز الشعري لعبدالله العثيمين يقابله مثلث آخر يمثل انعكاسًا له، هو تأنيب الضمير، وملامة النفس، والشعور بالتقصير.

وهذا المركب في القصيدة العثيمينية، يكاد يحضر في كل قصيدة، وإن اتخذ له مظاهر وتجليات على مستوى المضمون وعلى مستوى الشكل.

على مستوى المضمون:

في مدونة العثيمين الشعرية تتكرر إلى حد الإلحاح موضوعات على رأسها:

- الشك وازدواجية الرؤية.
- الحيرة والبحث عن منهج لتجاوز الرؤية التضادية
- هاجس التاريخ وثنائية الماضي والحاضر
- ثقافة الاعتذار.

الشك وازدواجية الرؤية:

قد يستغرب من يحيط بظروف الشاعر، من عيشه حالة شك مضنية، لكن قد يكون مبعثها شدة التفكير التي قد تكون قادته إلى نوع من العقلانية جعلت لديه بعض القناعات موضع تساؤل . وهذا الشعور يحصل في مرحلة من العمر هي مرحلة البحث، وفي فترات تاريخية هي فترة التوتر الاجتماعي. في هذا المستوى يفقد المرء القدرة على الترجيح، والركون إلى أحد البدائل. وقد ينجم عن ذلك رفض الضدين معا أو قبولهما معا من غير حرص على القبول بطرف واحد، بسبب الاعتقاد بتكافؤ الأدلة. يقول:

قيل لي :ما للفتى الحائر لم يسلك طريقه؟
قلت أعمته سدول الشك عن تلك الحقيقة
حائرٌ زادت طيوف الهمِّ والآلام ضيقه
لم يعد يبصر ومض النور ولا يجلو شروقه
.....
لست أدري أطيوف الشك حالت دون فكري
أن يرى الفجر أم الأقدار لفَّت ومض فجري؟
غير أني لم يعد يبصر طرفي خطَّ سيري
.....
كلما فكرت أن أسلك في أفقي سبيلا
أوشكت مهجتيَ الحيرى إليه أن تميلا
غير أني ألمح اليأس على دربي نزيلا
ثم لا ألبث أن أستصحب الشك خليلا[١٢]

إن طرائق التعبير عن الشك في هذا النص الواحد، تذكر بما جاء عند بعض الكتاب والأدباء في الخمسينيات من القرن الماضي أوان صعود نجم الوجودية. فقد احتضنت نموذجها العربي مجلة الآداب البيروتية خاصة، ودعمتها كتابات عبدالرحمن بدوي، بالإضافة إلى

ترجمات نصوص جان بول سارتر وألبير كامو. فكان أن ظهرت نصوص لبعض الشعراء كإيليا أبي ماضي تجسد مدى الانفعال والتوتر والقلق من واقع عربي متشظٍّ [١٣].

وأنا لا أقول إن عبد الله العثيمين كان مجرد مقلد يحاكي موضة فكرية، بل أقول إن في حياة الشاعر بذور قلق تغذت بالشرط التاريخي وخصائص المرحلة، تحولت إلى ثقة في النهج الثوري، والمد العروبي، ثم إلى شك فيهما أيضًا، حين اكتشف، وهو يقدم حداءً للروح بدء ذبول الوعي الجمعي، في غبش من الحياة، يتحسس فيها العرب الحيطان كعمي، ويعثرون بها في الظهيرة كما في العتمة.

الحيرة والبحث عن منهج لتجاوز الرؤية التضادية:

لم يشأ الشاعر للأمل أن ينسرب من فروج الأصابع، وبحث له عن منهج أو منهاج أو طريقة يصل بها إلى يقين : يقول في قصيدة «كلما فكرت» :

كم تلهَّفت إلى نهجٍ به ترتاح روحي
وتشوَّقت إلى مأوىً به تُشفَى جروحي
طمحت نفسي إلى المنهج لكنَّ طموحي
بدَّدته في متاهات صحارى الموت ريحي
لم أجد لي منهجًا يبعث في قلبي الجريح
وهج النور ولألاء سنا الشوق الذبيح
.....
كلما فكرت أن أسلك في أفقي سبيلا
ومضت ترسم لي كفاي منهاجًا جميلا
أوشكت مهجتي الحيرى إليه أن تميلا
غير أني ألمح اليأس على دربي نزيلا[١٤]

لقد كان يبحث عن «ميزان العمل» بلغة الغزالي(٤٥٠-٥٠٥ هـ)، وقد وجده في عصره مختلًا ومنذرًا بإخفاق ذريع للمشروع القومي الذي راهن عليه الكثير. حيث إن «العروبة تولت الحكم في عدد من البلدان العربية، ولم تحقق في أي منها نجاحات توازي الوعود، حتى شعار الوحدة والحرية والاشتراكية كان ضحية أولى ضحى به أصحابه، كما حدث بين سوريا والعراق، حيث كان العداء بين فصائل حزب البعث في البلدين، هو ما قتل الشعار نفسه، مثلما قتل الانفصال السوري عن مصر من قبل. وبهذا أسقط الحاكم القوي شعاراته وقتلها علنا»[١٥]

وأمام هذا الفراغ الرمزي لم يبق سوى عامل بديل هو العامل الديني. لذلك ذهب إلى «السوق» عسى أن يجد من يدله على تجارة لن تبور.

ودخلت السوق بحثًا عن سنا يشفي جراحي
فوجدت المرشد الواعِظ يدعو للصلاح
قلت: أقفوه، ويمَّمت إليه في صباحي
والعصا واللحية المرخاة درعي وسلاحي
غير أني لم أجد فيه تباشير النجاح[١٦]

قد يكون ما خيب ظنه في هذا « المرشد الواعظ» هو ما في خطابه من تناقض، يؤدي إلى مزيد من تشقيق الكلام وتفريخ الرؤى، وأمر كهذا من شأنه أن يوسع من دائرة الشك لديه، وهذا يتنافى مع جمع الكلمة، وتوحيد الهدف. لأن شك الشاعر منهجي وليس مذهبيًا.

وهو ما عناه الغزالي، رحمه الله، في خاتمة كتاب «ميزان العمل» بقوله: «جانِبْ الالتفات إلى المذاهب، واطْلُبْ الحق بطريق النظر، لتكون صاحب مذهب... الشكوك هي الموصلة إلى الحق، فمن لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر، لم يبصر، ومن لم يبصر، بقي في العمى والضلال»[١٧]. وشك الشاعر الذي أراد به أن يصل إلى الحق، هو ما فتح عينيه على تناقضات مجتمعية، قد تكون بدأت تتسرب إلى العالم العربي بعد قبول الأمر الواقع والميل تدريجيًا إلى واقعية مادية مصلحية عرفت أوجها في السعودية في مرحلة ما يسمى بـ «الطفرة»؛ أي في الفترة ما بين ١٩٧٥ ومنتصف الثمانينات.

ولقد عبر الشاعر عن بعض الإرهاصات التي هيأت لهذه المرحلة، بحدس يذكر بدور الشاعر الرائي:

لا تسلْني. كلُّ ما في أفقي يزرع الدرب ملايين شَرَك
لم أعد أدري إلى أين الخطى حار منِّي الفهم والذهن ارتبك
كلُّ ما حولي طلاء زائفُ لدماء الطهر والصدق سفك
لبس العاصي جلابيب التقى وبدا الشيطان في زيِّ ملَك
والمراؤون علا سلطانهم كدَّروا حوضي، أغاضوا منهلك
كم يودُّون لو اغتالوا الندى إذا رأوا عطر الندى قد أثملك
عشقوا ذبح العصافير إذا رنَّحت بالشدو أعطاف الفلك[١٨]

وأكاد أجزم بأن الشاعر لما رأى الدرب دونه، وأيقن أنه لاحق بأفق لا ينتهي إلى شيء، قفل راجعًا وقد تذكر أن ما سار إليه تركه خلفه، فعاد ليسلك منهج السلف؛ بل ليدعو إليه بقصد استنهاض الهمم، وتقوية العزائم. يقول على طريقته دائمًا في اللوم والتقريع:

يَـا مـن يَـلـومُ نـتـنـيـاهـو عـلـى الـصَّـلَـفِ
لُـمْ قَـادَةً خـرجـوا عـن مَـنـهـجِ الـسَّـلَـفِ
وأَصـبـحـوا كـلُّ مـا تَـرجـوه نُـفـوسُـهـمُ
أن يُـدمِـنـوا الـذُّل فـي بـحـبـوحةِ الـتَّـرفِ[١٩]

والذي يؤيد ما نذهب إليه ، إيراده لوحدات معجمية بمعناها الاصطلاحي ذات حمولة دينية كبيرة. يقول معبرًا عن حنينه الملحاح إلى الماضي، انتقامًا مما لم يسعد به في الحاضر:

صـوتٌ مـن المـاضـي الـبـعـيـد يـهـيـب بـي
الـصـبـر لـلـمـهـمـوم خـيـر عـتـاد
لِـكَـنَّ أرزاءً تـطـوِّق حـاضـري
جـعـلـت نـداء الأمـس صـيـحـة واد
لِـمَ لا ومـن حـولـي تُـسَـنُّ قـواعـد
لأرى المحـيـط يـعـجُّ بـالأضـداد؟[٢٠]

إن الشرعة المعكوسة هي التحريف عن المواضع، وإحداث في الأمر ما ليس منه، وإيراد ما لم يُسْتَنُّ فيه بصاحب الشريعة، وهذا ما يثير البلبلة الذي عبر عنه بالأضداد، وفي نصوص أخرى بالتناقض في مثل قوله :

تَـعِـبًا أدوِّن فـي الـطـروس خـواطـري وأدقُّ لـلأسـرار كـلَّ رِتـاج
مـتـأمـلًا سـرَّ الـتـنـاقـض فـي الـورى والـفـرق بـين المُـرتَـجَـى والـراجـي
ربَّـاه أعـيـانـي الـتـأمُّـل واخـتـفـى عـنِّـي الـعـلاج وأنـت خـيـر عـلاج[٢١]

فهذا التضاد هو «تضاد مرجعيات ناتجة عن سوء فهم متبادل، وعدم قدرة على التواصل في حالة جهل وتجاهل متبادلة لا حالة اختلاف»

وباعتباره مثقفًا لا يمتلك وسائل تغيير مباشر، ولا أدوات تأثير فوري؛ فقد لجأ إلى الاستعانة بالله فهو نعم المولى ونعم النصير.

وإذا رجعنا إلى حياة عبدالله العثيمين، فإننا نجد فيها ما كان بالضرورة ينتهي به إلى اختيار منهج السلف، حيث نجد لأخيه الشيخ العلم محمد الصالح العثيمين (١٩٢٩-٢٠٠١) دورًا في توجهه العلمي، حيث كان يصطحبه لحلقات الشيخ عبدالرحمن السعدي (١٨٨٩-١٩٥٦)،

وقد ساعده ذلك على الالمام بالعلوم الشرعية وأَهَّلَهُ، أو حبب إليه، البحث في شخصية محمد عبدالوهاب، وتحقيق كتاب «لمع الشهاب» في سيرته لحسن بن جمال بن أحمد الريكي.

غير أن انفتاحه على الثقافة الغربية وإقامته في مجتمعها، ومعايشته لسبل تدبير شأنها لم يجعله ذلك كله حبيس ثقافة ماضوية بكل ما لها وما عليها، لذلك فإن معايشته للفكر الصحوي، جعله يقبل بالتوجه الدعوي للصحوة، من خلال ضوابط وتوجيهات بتعبير أخيه؛ أي برفض المعارضة الجهرية، والدعوة إلى المناصحة السرية. وهذا ما يتماشى مع وجوب الحفاظ على التوازن في ظل مستجدات المرحلة، وفي ظل حدود الإطار الذي رسمه له وضعه الاعتباري.

لقد وقف سقف طموح المثقف الخمسيني العضوي الطليعي، ذي المشروع الشامل، عند الانشغال بالهم الجزئي، لضياع عنوان رسالته الحقيقية، وصار منقادًا للشرط المناسباتي، والتفكير المصلحي بفعل الضغط الذي أحدثته سطوة البنية الثقافية المحافظة خاصة. لكن عبدالله العثيمين، رحمه الله، بحكم استيعابه للعلم الشرعي وتشبعه بالحس القومي وتبنيه للفكر الوحدوي كان يثأر لموقفه إذا بلغ الحزام الطُّبيين. يقول في مقدمة ديوانه «لا تلوموه إذا غضبا»: «ذكر أحدهم أن واحدًا ممن يعدون من المثقفين غضبان علي لكتابتي عن مواقف زعماء أمريكا ضد العرب بخاصة؛ والمسلمين بعامة». وكان رد الفعل لدي من غضب الغاضب علي أن كتبت قصيدة عنوانها: «لاتلوموه إذا غضبا»[٢٢] وقلت فيها:

لاَ تَـلـومُـوه إذا غَـضِـبـا مِـثـلُـكـم مَـنْ يَـعـرفُ الـسَّـبـبـا
حُـبُّ أَمـريـكـا تَـمـلَّـكـه فَـغـدتْ أُمًّـا لـه و أَبـا
مَـا لَـه إن كـان فَـاتـنُـه يَـكـرهُ الإسـلامَ والـعَـرَبـا
أَو يَـكـنْ قَـد دَكَّ جـحـفـلُـه صَـلَـفًـا بَـغـدادَ واغـتـصـبـا
وَلَـكَـم فـيـنـا مـن افـتُـتِـنـتْ نَـفـسُـه الـرَّعـنـاءُ بـالـغُـرَبـا
عَـرَبِـيٌّ فـي مَـلامِـحِـه عَـاجِـزٌ أنْ يُـخـفـيَ الجَـرَبـا[٢٣]

والجرب، كما يعرف الخاص والعام، مرض جلدي يتسبب في الحكة الشديدة التي تؤدي إلى احمرار أجزاء منه. وقد ينتج عنه ما يسمى بالبهاق، ويراد به زوال اللون الطبيعي للجلد، بظهور بقع بيضاء واضحة. وهذه المعاني المجازية كلها، لها ما يقابلها في الحقيقة. فالغربي الأجرب (أي الأبيض) سيصيبه حسد المجتمع بحكة شديدة، أي باحتكاك قواه الحية، مما قد يؤدي إلى انفجار داخلي، كما قد يصيبه بالبهاق أي يهجن هدبته بحمله على التشبه به.

ولأن الأجرب يُعْزَلُ ويُفْرَدُ إفراد البعير المعبد، فقد وجب لعربي الملامح هذا أن يبلع لسانه كمسكن أول، قبل البحث له عن وصفة.

وقد كرر هذا المعنى في قصيدة له أخرى في موضوع ما فعلته أمريكا في العراق:

عندما حَلُّوا بساحته ... حَلَّ طُوفانٌ من الكُرَبِ
نَشَروا من بين ما نَشَروا ... مَرضَ الطاعون والجَرَبِ[٢٤]

والطاعون، كما هو معروف أيضًا، من الأمراض المعدية عن طريق الاتصال المباشر، ويتسبب في التهاب الرئتين وفي إنتان الدم. وكل هذه المعاني أنسب لأن تُقَرِّبَ غزو أمريكا للعراق. فقد تسببت في التهابات وفي حرائق، وفي إنتان الدم العربي النقي.

وهذا الموضوع مع اختلاف في الأهداف، يمثل نقطة تلاق بينه وبين دعاة الصحوة، لكنه لا يعني بالضرورة تبنيه لمجموع أفكارهم. كما لا يعني أيضا تبنيه لمجموع أفكار الليبراليين أو دعاة الحداثة. فقد كان ينتقد الاثنين معا، ويلاحظ عليهم وقوعهم في الإفراط أو التفريط. وهذا ما يمكن أن يخرج به القارئ لمجموع شعره ، ومختلف مقالاته. يقول على سبيل المثال:

وفتى قد كان من مبدئه ... حرمة التعبير أن لا تُنتهك
حينما نال مكانًا بارزًا ... إن تخالف رأيه فالويل لك
وبليغ يدَّعي الزهد وإن ... غفلت عيناك عنه أكلك[٢٥]

وقد لا يحتاج الأمر إلى بذل جهد في اعتبار الفتى المراد به الحداثي، واعتبار البليغ المراد به الصحوي المتشدد.

وعلى افتراض أن النص كُتب قبل ظهور خطاب الصحوة إلى العلن. فقد سبقت الصحوة السعودية الصحوة المصرية، ربما بسبع سنين (١٩٨٠) بحكم اشتغال الشباب السعودي ما بين ١٩٧٥ إلى منتصف الثمانينات بآثار الطفرة ؛ إلا أن ما قد يكون قاله في أولئك ينسحب على هؤلاء بحكم القواسم المشتركة الكثيرة.

هاجس التاريخ وثنائية الماضي والحاضر:

إن الشاعر، بحكم تخصصه في التاريخ، لم يكن يقدر على نسيان الإحساس الخاص بالزمن. إن لفظة «التاريخ» ترد في شعره بشكل لافت يبعث على التساؤل. وهو حين يتحدث عن الماضي فهو الماضي الجميل، وحين يتحدث عن الحاضر فهو الحاضر الأليم. وحين يتحدث عن المستقبل فهو المستقبل الذي لا يبشر بخير. لذلك حن إلى الماضي باعتباره باحة استراحة، وانتقد الحاضر باعتباره سرادق عزاء، وخَوَّفَ من المستقبل باعتباره نذير شؤم ،

فكأننا لم نستفد من ماضينا، ولم نحسن تدبير حاضرنا، ولم نحضر لمستقبلنا. لاحظوا كيف يستعيد بحسرة زمن محمد حسن عواد ذاك الذي أشرنا إليه في بداية هذا البحث باعتباره رائد التجديد الذي لم يجد له امتدادًا، يقول:

بقينا على مرّ الليالي كما كنّا ... فلم نستفد منها ولا غيّرت منّا
بقينا ولم نحفل بما لاح من رؤى ... عوادٍ ولم نفطن إلى خطر عنّا
نهيم بوادي التيه حيرى تلفّنا ... سدول ظلام في ضمائرنا جنّا
بقينا صراعاً بين آلام حاضر ... وماض على أطيافه نقرع السنّا
تمرّ بنا الأيام دون توقف ... وتمضي لياليها ونحن كما كنّا[٢٦]

أما الماضي باعتباره باحة استراحة، وموئل استجمام فكثير في شعره كما قلنا. وأراه في إطالة عرضه للأحداث، وذكره لمناقب الأشخاص، كان يجد متعة كبيرة كأنما وجد في الماضي منفى اختياريًا فيه من حرية تحقيق الذات، ما ليس في الحاضر. من ذلك قوله:

وأمضي مع التاريخ أسبرُ غوره ... وأتلو من الأمجاد ما خطّ كاتب
ويبدو صلاح الدين فوق جواده ... بحطِّين والنصر المبين مُوَاكِب
وأمضي وأمضي والحضارة قبلتي ... فتأسرني للعُرْب منها مواهب [٢٧]

لاحظوا كيف كرر الفعل «أمضي» ثلاث مرات في ثلاثة أبيات، للتأكيد على إمعانه في السير إلى الحضارة التي جعلها قبلته. وأحيانًا يستعمل فعل «أعبر» لأداء المعنى نفسه. فكأنه كان يمضي الهم عند احتضاره، بعوجاء مرقال من الزمن، ليؤسس لأدب الرحلة في التاريخ، يقول[٢٨]:

أعبر التاريخ... أجتاز مدى الماضي وبيده
فأرى عِقْد بطولاتٍ وأفعالٍ مجيدة[٢٨]

وكما قلت فإنه حينما يرى عقد البطولات والأفعال المجيدة، يقف مليًا لينقع غلته من هجير الحاضر اللافح . والشواهد على ذلك كثيرة ، يكفي التمثيل لها بشاهد واحد، يقول فيه:

في مهجتي لربوع الشام تَحنانُ ... صانت حُميَّاه أزمانٌ وأزمانُ
وأمطرتُه من التاريخ غاديةٌ ... فاشتدَّ أصلاً وماستْ منه أغصان
قدِمتُ ألثمُ مجداً شاده نُجُبٌ ... بهم تشرَّف مروانٌ وسفيان
وأجتلي فيلقاً يمضي فتتبعه ... فيالقٌ شاقها للنصر ميدان
أنتِ الحضارةُ إشعاعًا ومنطلقا ... وأنت منبتُ أمجادٌ وبستان [٢٩]

ولقد كان لجوء الشاعر الدائم إلى التاريخ، يفرض عليه الإخلاص لتقنية السرد التي تمس بشكل مباشر جوهر الشعر أحيانًا.

ذلك أن الحكي بمراعاته لخطية الزمان، يمكن من تأثيث الشعر بمكونات سردية تؤدي إلى تداخل الشعري والسردي والذاتي والموضوعي والغنائي بالدرامي. وغالبًا ما يكون ذلك على حساب البعد الجمالي للغة.

ثقافة الاعتذار:

قلنا إن الشاعر حينما كان يعبر الزمن إلى الوراء، كان يعبره بقصد الاعتبار. فكأنه كان يحرص على أن يأتي منه بشهاب قبس، أو يجد على النار هدى. فصار يناجي الزمان، كما كان يناجي غيره المكان.

فإذا كان عنترة خاطب دار عبلة بالجواء، فقد خاطب هو دورة الزمن بالبتراء ليأتي منها إلى قومه بالحجة البتراء:[٣٠]

وجئتُ أستنطِقُ التاريخَ في سَلَعٍ ... وكلُّ ما دوَّنتْ بَتْراؤها عجب
وأجْتلي في ثَرى اليرموكِ ملحمةً ... كتائبُ النصر فيها سادةٌ عَرَب
أولئك القوم فَخْري.. عِزَّتي.. حَسَبي ... نِعمُ الفَخارُ ونِعمُ العِزُّ والحَسَب[٣٠]

لاحظوا تكراره للفظة «الحسب» الذي قلنا إنه يمثل الضلع الثالث الذي يتمحور حوله شعر الشاعر. هذا الحسب، في الحقيقة، وجه أخر للحسب الذي اكتسبه بالاتصال بذي النسب والحسب صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل حفظه الله.

ولاحظوا أيضًا، كيف وسع من هويته الجزئية، لتصبح هويته هي العروبة أَنَّى تجلت في الزمان أو المكان.

لكن ما أريد أن أشير إليه تحت عنوان «ثقافة الاعتذار» لدى الشاعر، هو لجوؤه الدائم إلى بخس حقه، ولوم نفسه، كما أشرنا إلى ذلك من قبل، من خلال التعلل بعنصر الزمان مرة أخرى.

فإذا كان عنده التاريخ العام مثار قوة وفخار، فإن تاريخه الخاص كان عنده مثار ضعف وانكسار. لقد كان الشاعر مهووسًا بالزمن المنفلت، وباللحظة الهاربة، وكان محدقًا بشكل حاد في نقطة النهاية، وفي مسك الختام. لذلك ظل، من غير ما داع في كثير من الأحيان، يعتذر بالشيخوخة وبالشيب، وبتحول الحال، إذا عسر المقال. يقول[٣١]:

لَو يَرحمُ الشِّعرُ أَمثالي لوَافاني ... بِمَا تَودُّون من قَولٍ وتِبيانِ
لأرسِمَ الفَرْحَة النَّشْوى مُجنَّحَة ... مُعبِّرًا عن أحاسيسي ووِجداني
لَكنَّ شيطانَه استعصَى وفَرَّ على ... شَهباءَ عَاصفةٍ من مَرْبطِ الجَانِ

لكن: لم فر شيطان الشعر من الشاعر؟؟

لقد كانت الجن تخير امرأ القيس أشعارها. وقد عبر عن ذلك بقوله:

تخيرني الجن أشعارها ... فما شئت من شعرهن انتقيت

هل لأن امرأ القيس كان ابن ملك ؟ هل لأنه كان غاويًا؟ في حين كان العثيمين يحرص على الصدق في القول، والانسجام في الأفعال كما قال ذلك صراحة:[٣٢]

وقُلتَ والقولُ ما كانت بَوادره
صدقًا وكان مع الأفعالِ مُنسجما
«ما كنت مُتَّخذًا رَكبَ الهَوَى عَضُدًا
ولا تعشقت من لوعاته الألما

لست أدري. ولكن لنستمع إلى قوله مرة أخرى:

عَرفتُ الشِّعرَ من أَلفٍ لِياءِ
ثَريّا بالمَديح وبِالهجاء
وما أَهملتُ في دُنياه نَوعًا
سوى ما كان أَشبهَ بالهُرَاء
وكم نَاديتُ عَاطفةَ القوافي
فَلم تَعطِفْ ولم تَسمعْ نِدائي[٣٣]

نلاحظ أن الشاعر يصر على أنه يرفض الرفث في الكلام، وهو بذلك ينسجم مع قوله السابق، لكنه هنا لما نادى شيطان الشعر جعله أنثى، وذلك بقوله «عاطفة القوافي»، «لم تعطف»، «لم تسمع ندائي». وأنثى الشياطين أضعف شعرية من ذكرها عند البعض. يقول أبو النجم العجليُّ، وهو أحد رُجَّاز الإسلام المتقدمين:

إني وكل شاعر من البشر
شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
فما رآني شاعر إلا استتر
فعل نجوم الليل عاين القمر

وأظن أن الشاعر إما كان ذكيًا في جعل شيطانه أنثى، لأنه كان في مقام الاعتذار، وتبرير العجز عن الكلام، وإما لأنها سئمت من كثرة حديثه عن الشيب. وأنثى الجن كما أنثى الإنس لا تقبل شيبًا !! وهو ما قاله علقمة الفحل صراحة:

فإن تسألوني بالنساء فإنني
بصيرٌ بأدواء النساء طبيب
إذا شاب رأس المرء أو قَلَّ ماله
فليس له من وُدِّهِنَّ نصيب
يردن ثراء المال حيث علمنه
وشرخ الشباب عندهن عجيب

وإني لأميل إلى هذا السبب لأن الشاعر دائم الحديث عن الشيب والشيخوخة. فإذا ذكر شاعريته رجع بها إلى مرحلة الشباب الماضية، يقول في هذا المعنى: [٢٤]

لِقائل الشِّعرِ أَنصارٌ وأَعوانُ
البَعضُ إنسٌ وبعضٌ مِنهمُ جانُ
إن يُلهموه هَمَى مَعسولَ قافية
وأَطربت عَاشقَ الإبداعِ أَلحان
وكان ذلك لي فيما مَضَى.. فَمَضَى
كَأنني لم أَكن خِلاً ولا كانوا
ما أَتعبَ الشيخَ غَطَّى الثَّلجُ هَامتَه
فانفضَّ من حَولِه صَحبٌ وخِلاَّن!
لو في قَرارةِ كَأس العُمر قد بَقيتْ
ثُمالةٌ لانتشى بالبَوْحِ وِجْدان

وما أظن لو بقيت هذه الثمالة من العمر، سينتشي بالبوح وجدانه، لأن ديوان «بوح الشباب» – وقد رجعنا إليه في أكثر من مرة- متشح بلغة جنائزية، كأن القيامة قامت. وحتى لو قامت القيامة، لكان عليه أن يزيد من غرس الفسائل. لكن الظروف الخاصة والعامة التي أشرنا إليها، أدخلته ضمن النسق العام الذي يندرج في إطاره الأدب السعودي عامة. وهو ما عناه عبد الله عبد الجبار بقوله: « لو تخيلناه لكان رجلا يسير محني الظهر، مثقل الخطى تؤوده الأغلال، ويجر من خلفه السلاسل».

وقد أشار صراحة إلى ما نذهب إليه من غير أن يلجئنا إلى استنتاج من ذلك قوله:

وَددتُ لو استطعتُ بيانَ جهدي
بيان الشيخِ تَوحيد العباده

إذن لَغَدوتُ مُبتهجًا رَضيًا
بما نَطَق اللِّسان وما أَفاده
ولَكنَّ المحافل عَلَّمتني
بِأَني نِلتُ بالعَجزِ الشهاده
وأَني كُلَّما أَسرجت مُهْري
لِيقتحم الوَغَى، أبدى عِناده
فَهَلاَّ تَعذِرون قُصورَ شَيخ
ضَاعَ من الكلام الِعَذْب زَاده[٢٥]

والشعور بثقل الخطى في ملاحقة الأمل، والرضى من الغنيمة بالإياب، ليسا من سمات الشعر المحافظ، ولا الثقافة المحافظة فحسب، وإنما هما سمة الشعر الحداثي أيضًا. غير أن الشاعر المحافظ إذا عبر عنهما بلغة مباشرة، فإن الشاعر الحداثي عمد فيهما إلى الرمز، بالرجوع إلى الصحراء، وإلى النخل ذي الطلع الخرافي، والصبر الجميل، بتعبير محمد الثبيتي:(١٩٥٢-٢٠١١)

قال :

أنت والنخل طفلان
أنت والنخل سيان
.....
يا أيها النخل
يغتابك الشجر الهزيل
ويذمك الوتد الذليل
وتظل تسمو في فضاء الله
ذا طلع خرافي
وذا صبر جميل
.....
يا أيها النخل
هل ترثي زمانك
أم مكانك
أم فؤادا بعد ماء الرقيقين عصاك [٢٦]

والرمز إلى الذات الغريبة بالنخلة، والحنين إلى منبتها بعد الفشل في فهم دورة الحياة التي تلجئ إلى مجاورة صغار النبات، كثير في الشعر. نذكر هنا الشاعر عبدالكريم الجهيمان

(١٩١٢-٢٠١١) الذي رمز بها إلى ذاته وإلى العرب والجزيرة، على طريقة محمد إقبال حينما تحدث عن الحجاز[٣٧].

لَكِنَّ ما يميز عبدالله العثيمين رَبْطُ الرجوع الدائم إلى الماضي، والشعور بالغربة، بالتاريخ، بالزمن، بالشيب. يقول:[٣٨]

مُـدِّي - عَـنُـود الـقـوافـي - لـلـمسنِّ بـدا
إن لـم يَـرُقْ لـكِ وُدّاً فـارحـمـيـه نـدى

ويقول [٣٩]:

ونـفـس الـفـتـى أمَّـــارة تـعـشـــق الـهـوى
وتـدفـعـهـا نـحـــو الجـمـــال مـآرب
ومـــا أتـعـب الـعُـشَّـــاق غـطَّـت رؤوسـهـم
مـن الـشـيـب أجـنـــادٌ وحـلَّـت كـتـائـب!

ويكاد لا يخلو ديوان من حديث عن الشيب، وكثيرًا ما كان يشبهه بالثلج الذي بالحب يتضرم في الهامات لهبا.

في الشكل:

تجربة الشاعر عبد الله العثيمين ترتطم بالواقع المباشر. لقد كان من موقع المؤرخ معنيًا بحركة الزمان كثيرًا، فكأنه كان يلتقط الأحداث التاريخية لمحاكمة عصره.

لقد كان يأخذ من دواة الواقع الحبر الذي يكتب به شعره، واللون الذي يرسم به صورته. وهو ما ضيق عليه الخناق، وقاده للاستسلام إلى كثير من الإكراهات. يقول صراحة ومن غير مواربة:[٤٠]

وكـثـيـرٌ مـن قـومـنـا ذو خـيـالٍ
سـرعـةُ الـضـوءِ لا تـشـقُّ غُـبَـارهْ
لـسـتُ مـن هـــؤلاء.... ركـبُ خـيـالـي
لـيـس يـعـدو أُفُـــقَ الحـمـى وإطـــارهْ
مـا لـنـا والخـيـال إن عـــاش أو مـا
ت؟ وهـــل روَّج الخـيـالُ تجـــارهْ ؟
مـا لـنـا والخـيـال والـواقـعُ الملموسُ
يـضـفـي عـلـى الحـيـاةِ دثـــارهْ ؟

لقد حول الشاعر تاريخ عصره إلى مجال التجربة الشخصية، وخط بقلم لا تزيله ممحاة، معالم رأيه، واستلهم من تراثه إطار فكره، بل نبر صوته، ودواوين شعره:[٤١]

ومَـضَـى قَـلـبـيَ الـمـرَفْـرفُ يُـحْـيـي
مـا طَـوَتْـه الأيـامُ مـن فَـيـضِ أُنْـسِـي
والـيَـرَاعُ انْـبَـرى يَـخُـطُّ شُـعُـوري
يَـعْـربـيَّ الـسِّـمـاتِ مـن فَـوقِ طِـرْسِـي
لـم أكـن أُحـسِـنُ الـقَـريـضَ ولـولا
يَـقْـظَـةُ الـعُـرْب مـا هُـممـتُ بَـنْـبِـسِ

لقد أمسك الشاعر بخطام الناقة في المضمون، ورضي بالإمساك بالذَّنَب في الشكل، ولم يكن يضيره ذلك في شيء لأنه قصد إلى التغيير في الواقع وليس في اللغة. لأنه وجد الواقع أكثر خيالاً من كثير من الشعر، لما فيه من الغرائب، والمفارقات، والتناقضات.

وإذا كنا قلنا إنه لتبرير ثقافة الاعتذار لديه، جعل شيطانه أنثى بحكم ضعف الأنثى بالقياس إلى الذكر، فإننا نجده في نص آخر، ينكر أن يكون ممن ظفروا حتى بإلهام أنثى:[٤٢]

أنـا لا أخـاف ولا أداري — إن قلتُ: حِـدتُ عـن المـدارِ
لأرى عـلـيَّ دِثـارَ فـنٍّ — لـم يـكـن يومـا دِثـاري
قـالـوا بـأنـي شـاعـرٌ — آتٍ يـزفُ جـوى الصحـاري
شـيـطـانـه أنـثـى إذا مـا — نـزلـتْ ولا مـرَّتْ بـداري
ظـلـمـوا شُـوَيـخَ الـوفـد... مـا — نـزلـت ولا مـرت بـداري
بُـعْـدي عـن الأشـعـارِ بُـعْـد — المـالِ عـن خَـلَـدِ الغِـفـاري
إن سِـرتُ مـن جـهـة الـيـمـين — نَـأتْ إلـى جـهـة الـيـسـار

لقد كان الشاعر غير منشغل بتجويد شعره، ولم يكن يطمح إلى الانتساب إلى قبيلة الشعراء، رغم قدرته الإبداعية الكبيرة.

لقد اتخذ الشعر وسيلة، ولو جعله غاية لكان له وضع آخر. لقد كان مهادنًا على مستوى الأداء، مشاغبًا على مستوى المضمون. هو متعة لمن قدم المنفعة، وأراد شهادة على عصر.

وهو استثناء بين الشعراء الذين دخلوا في صراع مع الذاكرة الشعرية. لقد فضل أن يدخل في صراع مع تناقضات الواقع، لكونه يأتي بنبإ، ويحمل رسالة، ويحرر ذهنية، ولا يمارس حرية دونجوانية، على الصورة والقافية. لذلك كان، رحمه الله، كثير الحذر من النقاد الذين قد لا يرضيهم ما اختاره عن علم. حيث إن خلقه ومكانه الاعتباري يمنعانه من الدخول في معارك جانبية، كتلك التي كانت بين حمزة شحاتة ومحمد حسن عواد، والتي بلغت إلى حد

أن سمى الأول نفسه بـ «هول الليل»، وسمى الثاني نفسه بـ «أبولون» إله الموسيقى والشعر، والطرب والجمال. وتلك التي نشبت بين محمد العلي وعبدالله الغذامي. حيث قال محمد العلي «إنه مدع وناقد من النقاد لا أقل ولا أكثر». وقال الغذامي في رده: «حصاني مسرج، ولكن الطريدة هزيلة».

لم يكن لعبد الله العثيمين، رحمه الله، من وقت ليصرفه في «جيم جدة» أخرى. ولقد عبر عن ذلك صراحة بقوله:[٤٣]

ولـيـس حـريًـا بـالـشـهـادة مُـجـهَـــدٌ
إذا مـا ادلـهـمَّـت غـيـمـةٌ ضـيَّـع الـسُّـبُـلا
يـخـوِّفـه فـي سـاحـة الـنـقـد ظـلُّـه
وتـرهـبـه الأقـــلام إن أطـلـقـت نَـبُـلا
فـأنَّـى لـه فـي خـوض مـلـتـهـب الـوغـى
ونـصـل الـردى فـي عجِّها يكسر النصلا؟

ثم إنه عرف ما آل إليه كثير من التجارب الشعرية أوان سطوة الصحوة. هذا بالإضافة إلى مسؤولية الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية. فقد كانت توجب عليه الحفاظ على مسافة واحدة بين التجارب والاتجاهات.

لقد كان، رحمه الله، محبًا للغة، راعيًا للتراث، فخورًا بتمثل التقاليد الشعرية الأصيلة، ولم يكن يرى حرجًا في الدخول في حوار مع كثير من النصوص القديمة من باب الإبقاء على جسور التواصل بين ماضي الأمة وحاضرها.

الهوامش والإحالات

١. ديوان «عذب السنين»، حمد الحجي، جمعة محمد بن أحمد الشدي، دار الوطن للنشر، الرياض، ط ١، ١٩٨٩.
٢. السعودية سيرة دولة ومجتمع، ص: ٤٧٤.
٣. ديوان عودة الغائب، دار العلوم للطباعة والنشر ١٩٨١، قصيدة عودة الغائب، ص: ٤.
٤. نفسه، قصيدة في ليلة القدر، ص: ٥
٥. نفس،. قصيدة أي ذنب جنيت؟ ص: ١٤.
٦. نفسه، قصيدة خطرات، ص: ١٥.
٧. نفسه، قصيدة لم لا؟ ص: ١٩-٢٠
٨. المراد الدكتور حمود البدر الأمين العام لمجلس الشورى، كما أشار إلى ذلك الشاعر في الهامش.
٩. ديوان دمشق وقصائد أخرى، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٣، قصيدة أتمنى، ص: ٩١.
١٠. ديوان لا تلوموه إذا غضبا، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض،. ط ١، ٢٠١١، ص: ٥١ — ٥٢.
١١. ديوان بوح الشباب، قصيدة: لم لا؟ ص: ٢٠.
١٢. ديوان بوح الشباب، ص: ٢٥ — ٢٧.
١٣. ما بعد الصحوة، عبد الله الغذامي، ص: ١١٩.
١٤. ديوان بوح الشباب، قصيدة كلما فكرت، ص: ٢٦. - ٢٧

١٥. حكاية الحداثة ص: ١٥٤.
١٦. ديوان بوح الشباب، قصيدة كلما فكرت، ص ٢٨.
١٧. ميزان العمل، أبو حامد الغزالي، حققه سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط ٢، ٢٠٠٣، ص: ٤٠٩.
١٨. ديوان لا تسلني، ص ٦-٧.
١٩. ديوان لا تلوموه إذا غضبا، قصيدة من الملوم؟ ص: ٤٧.
٢٠. ديوان بوح الشباب، ص: ٢٠.
٢١. نفسه، ص: ٢٢-٢٣.
٢٢. ديوان لا تلوموه إذا غضبا، ص: ٥-٦.
٢٣. نفسه، ص: ٧-٩.
٢٤. نفسه، قصيدة نَهْرٌ من العَجَب، ص ٢٥
٢٥. ديوان لا تسلني، ص ٧
٢٦. ديوان عودة الغائب. قصيدة: بَقينا كما كنّا، ص: ٦٦-٦٨.
٢٧. ديوان لا تسلني، قصيدة: تراثية، ص ٤٢
٢٨. نفسه، قصيدة: عنيزة والحلم الثاني، ص ٣١ - ٣٢
٢٩. دمشق وقصائد أخرى. ص: ٦-١٠.
٣٠. نفسه. قصيدة: تحية من أصالة نَجد، ص: ٢١-٢٢.
٣١. في زفاف العروس، قصيدة: لو يرحم الشعر، ص ٧-٨.
٣٢. ديوان في زفاف عروس، قصيدة: بنت الثلاثين، ص ٢٩
٣٣. ديوان عرس الشهباء. قصيدة: القُصيبي والشعر، ص: ١١-١٢.
٣٤. ديوان في زفاف العروس، قصيدة: روعة الحفل، ص ١٩-٢٠.
٣٥. عرس الشهباء.، قصيدة: اعتذار، ص: ١٩-٢٠. والأبيات قيلت عام ٢٠٠٥.
٣٦. ديوان محمد الثبيتي. الأعمال الكاملة. دار الانتشار العربي- النادي الأدبي بحائل.ط.١. ٢٠٠٩. ص: ١٥-١٨-١٩.
٣٧. اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية. عبد الله الحامد العلي الحامد. مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر. ١٩٨٤. ص: ١٥١.
٣٨. صدى البهجة، قصيدة: أعيذ لطفك، ص: ٢٦.
٣٩. لا تسلني. قصيدة تراثية، ص: ٣٨.
٤٠. دمشق وقصائد أخرى، قصيدة: في ربوع الرياض، ص: ٦٩ - ٧٠.
٤١. مشاعر في زمن الوهج ص: ٧.
٤٢. دمشق وقصائد أخرى. ص: ١٤.
٤٣. لا تسلني. ص: ٢٤-٢٥.

ملامح التجربة الشعرية عند عبدالله العثيمين

أ . د. إبراهيم عبدالرحمن المطوّع
أستاذ بكلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية - جامعة القصيم

أبدأ بحمد الله، والصلاة والسلام على رسوله، ثم أُثنِّي بالشكر لمؤسسة الملك فيصل الخيرية، ممثّلة في أمانة جائزة الملك فيصل العالمية، على دعوتهم لي للمشاركة في الندوة الموسّعة عن أمين الجائزة الراحل أ . د . عبدالله بن صالح العثيمين، رحمه الله، وقد توجّهتُ إلى الحديث عن تجربته الشعرية؛ إذ هي التجربة المبكرة من تجارب حياته العلمية والفكرية والأدبية.

ومن الصعوبة الحديث في دقائق عن تجربة شعرية لشاعر معاصر قدّم عشرة دواوين مطبوعة، في رحلة شعرية امتدت لأكثر من خمسين عامًا؛ لذا سأقوم بتقديم عدّة ملامح وصور التقطتُها، بعدسة انطباعية، من زوايا مختلفة من زوايا تجربته الشعرية، وهي صورٌ تُضاف إلى صور الباحثين والدراسين والنقاد من قَبْلي، وتَعُدُّد الصور للشئ الواحد لايعني بالضرورة تشابهها واتفاقها، لأن لكل مصوّر زاويةَ رؤيةٍ ينظر من خلالها، تختلف عن زوايا الرؤية عند الآخرين.

الصورة الأولى: عبدالله العثيمين شاعر (هواية) و(هُويّة)

بدأ عبدالله العثيمين في نظم الشعر منذ عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، قبل بلوغه العشرين من العمر، وسط تنافس وتبارٍ بينه وبين زملائه في المعهد العلمي: إبراهيم الدامغ وسليمان الشَّريف، ووسط رعاية وتشجيع من مدير المعهد: سعد أبو معطي، والدكتور عبدالكريم الأسعد، ومباركة الأهالي وأولياء الأمور الذي كانوا ينتظرون ما يقدّمه الطلاب في الحفل المسائي الأسبوعي على مسرح المعهد، في ظل أحداث سياسية تمرّ بها المنطقة العربية، كانت مادة ومحورًا لقصائدهم الممتلئة حماسة وعنفوانًا، وكانوا يبعثون بها للنشر في صحف: الجزيرة والإشعاع والمنهل والرائد والأضواء .. وتجد طريقها إلى النشر.

وعلى هذه البداية المتوهجة لم يُصنّف العثيمين نفسه شاعرًا، إذ تأخر صدور ديوانه الأول (عودة الغائب) حتى تجاوز الـ ٤٥ من عمره، ثم تأخر الديوانان الثاني والثالث (لا تسلني، وبوح الشباب) حتى بلغ الـ ٦٠ من عمره.

ومع موهبته الشعرية المبكرة، واستعداده الفني لكتابة الشعر فكثيرا ما يشير إلى أن الأمة في حاجة إلى الأفعال أكثر من حاجتها إلى الأقوال، وفي حاجة إلى العلوم الطبيعية التطبيقية أكثر من حاجتها إلى العلوم النظرية؛ فالأمة، في نظره، تحتاج إلى العمل والإنتاج أكثر من الحاجة إلى الشعر والأدب، وقد كان يؤمّل في مستقبل حياته أن يرى نفسه متخصصا في أحد التخصصات العلمية.

فالشعر لديه (هواية) وليس (حرفة)، هواية لا يريد أن يتفرغ لها، ولا يريد أن تُلصق به صفة الشاعرية. وقد اعتذر مني مرة حين طلبت منه رأيه في بعض قضايا الأدب وهمومه؛ لأنه يرى نفسه أقلّ شأنًا من المتخصصين المتفرغين للأدب، وكثيرا ما نفى عن نفسه أنه محسوبٌ على الشعراء، ولهذا ظهرت البساطة والمرونة في كتاباته الشعرية:

١. فلم يضع مقدمات تنظيرية لدواوينه.
٢. نوّع في قافية القصيدة وخاصة إذا كثرت أبياتها .
٣. اقتبس العبارات العامية والأجنبية.
٤. استخدم نظام القصيدة التفعيلية.
٥. وربما انتقل في قصيدة واحدة من وزن شعري لآخر كما في قصيدة (رسائل من الجبهة)، وهي قصيدة في أربعة وأربعين بيتًا موزّعة على أربع رسائل (مقاطع) لكل مقطع قافية مختلفة، وتنقّل في القصيدة بين وزني الكامل والبسيط، فجاء المقطعان الأول والرابع على وزن البسيط، وجاء المقطعان الثاني والثالث على وزن الكامل، ولم يُخلّ هذا التنويع ببنية القصيدة على الرغم من أن البحرين من دائرتين عروضيتين مختلفتين، وربما يعود السبب إلى أن تفعيلات الكامل قد يصيبها الإضمار، فتصبح (مستفعلن) التي تتكرر في البحر البسيط أربع مرات (أحمد مطلوب: عرار نجد ص٤٧) .

كل ذلك ليكون مسيطرًا على الشعر لا أن يكون الشعر مسيطرًا عليه بأوزانه وقوانينه، وحتى لا يتحول الشعر إلى (شعرة) يسير عليها الشاعر، فيحرم عينيه وفؤاده من الاستمتاع بما حوله بسبب التوقّي الشديد من السقوط .

والشعر لدى عبدالله العثيمين (هُوية): كما هي مسؤولية الكلمة عمومًا، تعبّر عن ذات الشاعر، وتظهر عليها بصمته وأنفاسه، وهو تعبيرٌ عن روح الشاعر، وهموم الأمة وقضاياها، بلغتها، وأساليبها، وبنائها، فهو لا يؤمن بالشعر المنثور لأنه فاقدٌ للهوية الفنية وفاقدٌ لمواصفات الشعر.

وهوية الشعر - في نظره - أن يكون فنًا للفن وللرسالة الإنسانية السامية، وليس فنًا للتكسُّب وللمصالح الخاصة، فالشعراء - في نظره - صنفان: شاعرٌ يحترمه، وهو ذلك الذي يقف مع

الحق، ومع أهداف أمته وشاعرٌ يحتقره، وهو الشاعر المتملّق الذي يكتب الكلمة للتكسّب فقط، وقد عبّر عن ذلك شعرًا في قصيدة يتأمل فيها الواقع بقوله:

والحرف! دنيا الحرفِ لطفًا (خلِّها ملبَّدة)
الخوض في شؤونها
مشكلةٌ معقَّدة
ترى وجوه بؤسها
بعينك المجرَّدة
رموزُها مستغربٌ
أفكاره مستوردة
يعرضُها كما أتت
قوالبًا مجمَّدة
مصونةً عمَّا ينال سحرَها مَمَجَّدة
إلى صدور قومه
سهامُها مسدَّدة
وشاعرٌ سلاحه
قريحةٌ متَّقدة
متى أراد حلَّقت
بديعةٌ مزغردة
فصاغها أنشودةً
يُطرب فيها سيِّده
يمدحُه لكنَّه
يمدحُ شيكًا «زنَّده»[1]
وهل يهمُّ تاجرًا
إلا نموُّ الأرصدة ؟

فللشعر - في نظره - وظيفةٌ محدّدة، وهي توظيفه لخدمة الحياة والناس، فإذا ما أدّى هذه الوظيفة، فينبغي التحوّل إلى جانب آخر يخدم الإنسان فيه مجتمعه، ولا ينبغي أن يجعل من الشعر مطيّةً لأغراض خاصة، أو لِبَثّ أفكار مشبوهة، (الهم الأكبر الذي كنت أحمله في مرحلة الشباب هو الهم الذي ما زلت أحمله، وهو قضية الأمة الأولى: قضية تحرير فلسطين، وكل هم غيرها لا يساويها أهمية) المجلة العربية ١٤٢٤هـ. ويقول: (أحترم الشاعر الذي يقف مع الحق ومع أهداف أمته، وأحتقر الشاعر المتملق الذي يكتب الكلمة للتكسب فقط ... ولم أندم على

نشر شيء لأني أعتقد أن كل ما كتبته يعبر عن مواقفي من بعض الأمور الاجتماعية والسياسية) اليمامة ١٤٢١هـ. والشاعر عبدالله العثيمين (من الشعراء الناقمين على المجتمع الذي تُقدّس فيه الماديات، وتُحتقر فيه المثاليات الإنسانية والخُلقية أو يُكفر بها، وهو إلى جانب هذا صادق الوجدان سلس التعبير في قوة وعمق واتساق). ابن إدريس: شعراء نجد المعاصرون.

الصورة الثانية : النظرية الشعرية

مع أن العثيمين يرى الشعرَ هوايَة، ومع تجنّبه قضايا الأدب والنقد وتفريعاتهما، فإنه - في الوقت نفسه - يمتلك (رؤية شعرية) في الشعر، تُنبئ عن تصور شعري يحمل بصماته التي ظهرت في أبياته، ومن ذلك:

أ - يرى أن الشاعر الحقيقي الموهوب هو من يعبّر عن الشعور بكل صدقٍ وشفافية، دون اعتبارٍ للشكل الشعري، أو للّهجة التي يعبّر بها، أو للوزن الذي ينظم عليه، فـ «الشاعر شاعرٌ يعبر عن عواطفه بأي وسيلة كانت، ومن الوسائل أن تكون الكتابة بالفصحى، وأن تكون بالعامية، ولكن مصدر اعتزازي هو ما أكتبه بالفصحى ...»[١].

ب - لا يرى العامية خطرًا على الفصحى، وقد نظم شعرًا عاميًا في وقتٍ مبكر، فله قصيدةٌ عاميةٌ نظمها في عام ١٣٧٩هـ[٢]، فالشعر العامي والفصيح واكبا - في وقتٍ واحد - مسيرة الشاعر حتى الآن، فهو - كما سبق - لا يرى أثرًا للهجة المستخدمة في التعبير عن التجربة على المضمون، ما دامت الموهبة والعبقرية توافرتا لدى الشاعر، ولهذا جمع مختاراتٍ من شعره العامي وأصدرها في ديوان، تحت عنوان (نمونة قصيد)، كما يرى أن الشعر النبطي مصدرٌ من مصادر التاريخ المحلّي، بحكم تخصّصه واهتمامه به، حين لا يسعف المؤرخ سواه، لدراسة الأحوال السياسية والاجتماعية والمعاشية، وعادات الناس وتقاليدهم[٣]. ومع هذه المنزلة المتميّزة للشعر العامي عنده، فإنه يؤكد دومًا اعتزازه بالفصحى، وأن تكون السيادة لها «لكي يفهم الإنتاج جميع المواطنين في الوطن العربي كله ...»[٤].

ت - لا ينظر الشاعر عبد الله العثيمين - كما مرّ - إلى الشكل الشعري لقياس الإبداع، فالمعوّل عليه هو الموهبة والتفرّد والأصالة، فالشكل الشعري ليس وحده محل الإجادة، وإنما صدقُ الشاعر في تفاعله مع التجربة، وأن لا يعبّر إلا عن اقتناعٍ ذاتي، وليس لإرضاء أي طرفٍ خارجي، فقد رأينا في ديوانه قصائد على أوزان الخليل، وهي الأغلب، وعددًا من القصائد التفعيلية[٥]، وقد نظم إحداها في عام ١٣٨٥ هـ.

(١) من لقاء مع الشاعر عبدالله العثيمين، في مجلة اليمامة، عدد ١٦٢٠، ١٤٢١/٥/٢٦ هـ، ص ٨٠ .
(٢) انظر ديوان الشاعر عبدالله العثيمين: نمونة قصيد، ط/ الأولى ١٤١٦ هـ، ص ٨٣.
(٣) عبدالله العثيمين، مقال: الشعر النبطي كمصدر لتاريخ نجد، مجلة الفيصل، العدد الثاني، شعبان ١٣٩٧هـ، ص ١٠٥ .
(٤) مجلة اليمامة، عدد ١٦٢٠، ١٤٢١/٥/٢٦ هـ .
(٥) انظر ديواني الشاعر عبدالله العثيمين: عودة الغائب ص ٣٩ و ٥٦، و لا تسلني ص ٤٧ .

ث - أما موقفه من قصيدة النثر، فقد أجاب عن سؤالٍ عن قراءته لقصيدة النثر؟ فأجاب بقوله: «أولًا لا أوافق على صحة هذه التسمية أساسًا، فالقصيدة شعرٌ، والشعر غير النثر. ثانيًا: لو أتيح لي وقتٌ لقراءة الأدب، شعره ونثره، لقرأت ما هو واضح المعالم والسمات من هذا، أو ذاك، أما ما يكاد ينطبق عليه المثل العامي: لا ذكر ولا أنثى، فلا أستسيغ قراءته»[٦].

ج - أما موقفه من الحداثة، فقد عبّر عنه في معرض ردّه على سؤالٍ عن موقفه من القدماء والمحدثين، ومن الذي انتصر في عصر الحداثة وما بعدها؟ فأجاب بقوله: «قضية القدماء والمحدثين في العصور السابقة كان التركيز فيها - بصفة عامة - على شكل القصيدة، وشئ من المضامين، التي لا يرقى الاختلاف حولها إلى المساس بثوابت الأمة، فالحداثة بهذا المفهوم تعني التجديد، أما الحداثة في هذا العصر فمنهجٌ فكريٌ غربيٌ، لا يتورّع عن المساس بثوابت الأمة دينًا وأخلاقًا، وإذا كان الانتصار هنا يعني الانتشار إعلاميًا فإن من المعروف أن المسيطرين على نوافذ الإعلام المختلفة يستطيعون أن يروّجوا ما أرادوا ترويجه، ويرفعوا من لا يستحق إنتاجه الرفعة ... »[٧].

أما التجديد، فهو يرى ضرورته للأديب، ويُعَرِّض بمن يقف عند القديم ويقدّسه دون تمييز، ويدور في فلكه، وقد عبّر عن هذا بقوله شعرًا:

وكاتبٌ أبوابه عن التجديد موصده
أحبَّ من تراثه أبيضه وأسوده
حتى غدا هيمان في سجونه المؤبّده
يجترّ ما يجترّ من أقواله المردّده
كأنها أدعيةٌ مأثورةٌ وأورده[٨]

الصورة الثالثة : اللغة والصورة

الشاعر عبدالله العثيمين ولد شاعرًا، ونشأ شاعرًا وتُوفي شاعرًا، فهو شاعرٌ أولًا، ثم مؤرخٌ ثانيًا؛ لذا لم يظهر أثرٌ لاشتغاله بالتاريخ - أستاذا ومؤلفا - على لغته الكتابية في شعره ومقالاته، بل ظلت لغته الشعرية تحمل بصمته، ومنهجه الذي اختاره، فتقرأ شعره اليوم بلغة وأسلوب لا يختلف كثيرا عن أسلوبه ولغته الكتابية قبل خمسين عامًا، بعنفوانها وروحها ودلالاتها، بكل ما فيها من صدق اللهجة، وتدفق الألفاظ وترابطها، وسهولتها، والميل إلى اللفظة العصرية أكثر من ميله إلى اللفظة القاموسية، فلا حاجة مع شعره إلى القواميس والمعاجم.

(٦) مجلة اليمامة، عدد ١٥٢١، ١٤١٩/٥/١٤ هـ، ص ٧٢.
(٧) مجلة اليمامة، عدد ١٥٢١، ١٤١٩/٥/١٤ هـ، ص ٧٢.
(٨) عبد الله العثيمين، لاتسلني ص ٦٣.

واللغة – في شعره – وسيلة وليست غاية، لأن الشعر عنده وسيلة وليس غاية، فيكتفي من القصيدة بما يكشف عن الشعور تجاه التجربة والمعاناة، ولو جاءت في مقطوعة أو قصيدة قصيرة، إذ تراوحت أبيات قصائده من سبعة إلى خمسة وعشرين بيتًا، وقليلٌ منها جاوز الثلاثين بيتًا.

وهذا ما أدى إلى أن تكون لغته الشعرية متماسكة، غير مترهلة بألفاظ غريبة أو مكرّرة. وخشية من هذا الترهل والاجترار، وخشية من الوقوع في أسر قافية واحدة تقوده إلى حيث تريد هي، لجأ كثيرًا إلى تنويع القافية في قصائده الطويلة نسبيًا حتى يشعر بالتحرر والانعتاق ـ لغويًا ـ من ألفاظ وعبارات قد تقوده القافية إليها، فتصبح (الكلمة/ اللغة) تكتبه وتُملي عليه، ولا يكتبها هو أو يمليها، ويصبح مأسورًا لها وليس آسرًا لها .

لغة العثيمين الشعرية تظهر فيها بصمته وصوته، فلايشعر القارئ باختلاف معجمه بين كلامه المعتاد وكلامه في شعره، فمستواهما النفسي والدلالي واحد، فالعباءة الأسلوبية التي يتلحّف بها في كلامه اليومي وفي كتاباته النثرية هي نفسها العباءة التي يتلحّف بها إذا كتب شعرًا.

أما الصورة الشعرية:

فالشعر تصوير وتصميم مختلف للحياة يتم بريشة الشاعر، وليست الصورة وصفًا للحياة كما هي. وقد برع العثيمين في رسم الصورة الشعرية، مستعينًا في رسمها بمفردات وتراكيب وأساليب وخبرة وممارسة وقراءات ومشاهدات واستيعاب، فأصبح كالمُخرج الذي يحيل النص المجرد، مع قدرات الممثل المؤدي، مع الإنارة، مع الصوت، إلى مشهد (فيلم) ربما يؤثر في المتلقي أكثر من الواقعة نفسها .

فبرع العثيمين – شعرًا – في إخراج عدة صور ومشاهد حوّلها بلغته وخياله إلى قصائد متحركة، تتوالى فيها المشاهد والصور الجزئية في تتابع وانسجام، جاء معظمها تصويرًا لأحوال المستضعفين : الشيخ الفقير، والفاشل في البعثة، والباحث عن العمل؛ ففي قصيدة (كلما فكرت)[٩] يرسم الشاعر مشهد الباحث عن العمل الذي يطرق الأبواب، ويكتشف وراء كل باب أسرارًا ومظاهر سلوكية غريبة عنه وعن مجتمعه:

كلما فكرت أن أسلك في أفقي سبيلا
ومضت ترسم لي كفاي منهاجًا جميلا
أوشكت مهجتي الحيرى إليه أن تميلا
غير أني ألمح اليأس على دربي نزيلا
ثم لا ألبث أن أستصحب الشك خليلا
وإذا بي لا أرى عن نهجه المُضني بديلا
قلتُ أندسّ كغيري بين أحضان الوظائف

(٩) بوح الشباب، ص ٢٥

وهنا جمّعتُ أوراقي وما لي من معارف
وتوجّهتُ إلى الباب سعيدًا غير خائف
قال لي من في يديه الترشيح: آسف
هات حق الدرب قلتُ: النبع من بئريَ نازف
قال: لا تصلح منذ الآن مجنونٌ مخالف
وتركت الباب خلفي كارهًا ظل الوظيفة
عملًا من يدفع الرشوة يبصره حليفه
ثم صوّبتُ إلى البيت فألفيتُ صحيفه
قلتُ في نفسي: لعلّي أدرك الروح النظيفة
سطّرتها بمداد النور أقلامٌ شريفه
وإذا الكلّ مُراءٍ خطّ للزلفى حروفه
ودخلتُ السوق بحثًا عن سنا يشفي جراحي
فوجدتُ المرشد الواعظ يدعو للصلاح
قلتُ :أقفوه ويمّمتُ إليه في صباحي
والعصا واللحية المُرخاة درعي وسلاحي
غير أني لم أجد فيه تباشير النجاح

والعثيمين شاعرٌ يهتمّ بالألوان لتزيد الصورة الشعرية توهّجًا وتألّقًا، فيستخدم اللون بلفظه المباشر، أو يستخدمه بلفظ غير مباشر عن طريق ذكر ألفاظ تدل عليه، كالدمّ واللهب والنار والليل والنهار. وقد اجتمعت هذه الاستخدامات في قصيدة (لا تسلني)، فاستخدم اللون الأخضر للتعبير عن النجاح والتفاؤل، واللون الأسود للتعبير عن التشاؤم والفشل، كما استخدم ألفاظًا توحي باللون كلفظة النور والحلك والدُجى، والدماء، للتعبير عن اللون الأسود واللون الأحمر، فقال:

هكذا دارت دواليب الفلك
واختفى النور بأستار الحَلَك
والمُنى الخُضر التي رفّت على
شفة الأمس بها الدهر فَتَك
أيها الساري وأشواك الردى
ملأت كل طريق قد سلك
لا تسلني عن خفايا ألمي
إنما ألمني ما آلمك
الرؤى السوداء قَسْمٌ بيننا
والأسى المرّ غذاءٌ مشترك
والأحاسيس التي تغتالني
جُرِّدت أسيافُها كي تقتلك
أيّ ربعٍ لم يغلّفه الدُجى
أيّ حلم عاصف اليأس ترك
كل ما حولي طلاءٌ زائفٌ
لدماء الطُهر والصدق سفك[١٠].

(١٠) عبد الله العثيمين، لاتسلني ص ٥.

ويعلّق الدكتور عبد الملك مرتاض على استخدام العثيمين للون الأخضر في البيت الثاني بقوله: «وإذا عرّجنا على البيت الثاني الذي يقع فيه تصوير عهدٍ من الزمن ذهب بما فيه ألفينا المُنى، التي هي مرادفٌ معنوي للأمل المعسول، توصف بالاخضرار الذي هو سمةٌ لونيةٌ ترمز في كل الحضارات والثقافات للسلام والجمال والنعيم، فهذه المنى الخضراء لا تزال تَرُفّ شفتي الماضي الجميل رفًا، وتمصّهما مصّاً إلى أن جاء الدهر العابس ففتك بتلك الأماني الخضر فأذهب كل شيء» [11] .

الصورة الرابعة: العثيمين (شاعرٌ غيريٌّ):

فهو شاعر غيري بالمفهوم المعاصر للغيرية، وهو اتجاهه في كتابة الشعر نحو تصوير تجارب الغير (الإنساني) والابتعاد عن تصوير الغير (النخبوي) كما كان الشعر العربي القديم، فالغيرية الإنسانية هي المتجهة نحو : الفقراء والمستضعفين والأرامل ... فشعره منذ البدايات إلى أيامه الأخيرة تضاءلت فيه (الأنا المتضخمة)، أو تضخيم الإنجازات وتهويل المواقف، وعدم الادّعاء والمبالغة في وصف أوضاعه المعاشية في طفولته، فلم يتظاهر بأنه قاوم أو كافح أو عانى في حياته كما هي عادة بعض الشعراء المتضخّمة ذواتهم، فحين سأله أحد الصحفيين: هل كانت هناك صعوبات اعترضت طريقكم؟ فأجاب: لم أواجه صعوبات في مرحلة شبابي، ومردّ ذلك إلى أني لم أتطلّع أو أطمح إلى أمور لم تكن في المتناول، أو في حدود الممكن، كان التعليم مؤمّنًا؛ بل كانت هناك مكافأة تزيد عن متطلباتي الشخصية ..... ثم أتت الوظيفة لتزيد من دخلي، وتجعل حياتي المادية جيدة (المجلة العربية، ربيع الآخر١٤٢٤هـ).

لذا فضمائر المتكلم ضئيلة في دواوينه، إذا ما قورنت بما لدى بعض مزامنيه، فلم يظهر في دواوينه حديث عن: شؤونه، أو شجونه الخاصة، أو شؤون أسرته، أو أبنائه، أو إخوانه، أو عتاب لزميل أو صديق أو ابن، أو شكوى من ظروف أو عوائق، وإن وجد شيء من هذا فغالبًا ما يكون مغلّفًا بالفكاهة والنكتة.

ومن أمثلة الشعر الغيري:

قصيدة (شيخ في الطريق)، وهي تحكي قصة شيخ فقيرٍ طاعنٍ في السن، يقف على قارعة الطريق ويلتمس - وسط آلامه وأحزانه - من المارة صدقةً أو معونة، تسدّ حاجته، فيظهر رجل من المقتدرين الأغنياء فتجاوزه ولم يعطه شيئًا، وبعد أن مضى سمع الفقيرَ يدعو عليه، فثار غضبه، وعاد إليه لا ليعطيه مالاً أو مساعدة؛ بل ليتوجّه إليه ويضربه بسوطه، ويدفعه عن الطريق، فقال:

(١١) عبد الملك مرتاض، مقال بعنوان : هل تسألني عن (لا تسلني)، جريدة الرياض، عدد ١٢٢٠٤، في الملحق الثقافي ليوم الخميس، ١٤٢٢/٩/٧ هـ، ص ٣١.

ولمحُت دمعته تسيل فحشرجت في الصدر زفره
ولمستُ نفسي عند رؤيته تذوب أسىً وحسره
وتصاعدت من صدري المملوء بالآهات عبره
شيخٌ أمضّته الجراح وقوّس الإجهاد ظهره
ما شاب عن كبرٍ ولكن حطّمت دنياه عمره
أبصرتُه متغضّنً القسمات ممتعض الأسرّه
وعلى محيّاه رؤى تبدي تعاسته وفقره
متتابع الزفرات ملّت جذوة الآهات صدره
متعثّر الخطوات شلّت موجة الإعياء سيره
حيران يعمه في طريق البؤس لا يدري مقرّه
ووقفت والقلب الجريح يفيض آلامًا وحيره
أرنو إلى الشيخ الكليم وقد أزاح الدهر ستره
فمضى بحبّات الدموع يبيح للآلاف سرّه
فلربما جادت عليه يد الغنيّ بشقّ تمره
ولربما ذرفت عليه من المحيط الغمر قطره
ويمرّ جبّارٌ يردّ على توسّله بنظره
تبدي وتكشف قسوة المتعجرف الطاغي وكبره
وأرى الفقير كأنما طُعنت ضمائره بشفره
يهوي على الأم الحنون ويشتكي لله أمره
تعسًا يهمهم بالدعاء على الأنوف المشمخرّه
وتجاوز الجبّار في طغيانه الهمجي طوره
من ذا الذي يدعو عليه ؟ ولاح في عينيه جمره
فانهال فوق الشيخ يلهب باحتدام السوط ظهره
ويذيقه عنف الحقود وقسوة الطاغي وجوره
وبدون رفقٍ عن طريق السادة الكبراء جرّه [12]

«وفيها يصل الشاعر بتجربته إلى أعلى معدّلاتها الشعورية، معتمدًا في ذلك على لغته البسيطة التي تمكنت من تمثّل الواقع أمامه على حقيقته، مما جعل الشاعر يركن إلى العديد من الصور الخيالية التي تربط بين الواقع والخيال. كيما يحقق توازنًا نفسيًا معقولاً، بين الحدث الواقعي المؤلم وبين ردّة الفعل المتألمة، دون أن تؤثر حدة الانفعال على المستوى الفني

(١٢) وردت القصيدة في كتاب: شعراء نجد المعاصرين، عبد الله بن إدريس، ص١٩٣، ثم أدرجها الشاعر عبدالله العثيمين في ديوانه: بوح الشباب ص ٤٩، بعد أن أجرى عليها بعض التعديلات.

لعناصر التجربة بشكل سلبي، ولا ننسى ذلك الإيقاع الحزين حيث الاستخدام المجزوء لبحر (الكامل)، مع ما فرضه ذلك من جملٍ قصيرة، إضافة إلى توفّق الشاعر في اختيار القافية والرويّ المناسبين، فما أشدّ تلاؤم الزّفرات والعبرات والآهات مع قافية مقيدة تنتهي براءٍ تلتها هاء ساكنة، وكأن كل قافية تنهيدة قائمة بذاتها. وهكذا ظهر بوضوح أن الشاعر قدً نجح في تجربته هذه، حيث انعكس ذلك النجاح وتجلّى في صدق عاطفته وواقعية شعوره، مما أسهم بدوره في إنجاح القصيدة، ومما زاد من وهج التجربة كون موضوعها منتزعًا من المشهد اليومي المعتاد، الذي وفّق الشاعر في الارتقاء به إلى مرتبة القصيد الفني.»[١٣].

الصورة الخامسة: العثيمين (الشاعر الساخر).

وهو من شعراء الفكاهة والأسلوب الساخر في المملكة. والسخرية في شعره أسلوب فنيٌّ يقدّم به الشاعر تجربته، رؤية مغايرة لما اعتاد عليه المتلقي من طرح جاد ومباشر، إلى طرح ساخر فكاهي ليس للإضحاك أو التسلية؛ وإنما ليثير فينا مشاعر الحزن والألم والبكاء.

والحياة - في أحيان كثيرة - يُعقّدها الإنسان بنظراته الحدِّية إلى الأشياء، وتطلعاته إلى الكمال، ورفض أنصاف الحلول، وبالتعصب لرأي أو رؤية بشرية غير محسومة، وليست الحلول المعقّدة ضمانًا دائمًا للنجاح؛ فقد تكون الحلول البسيطة الساذجة أحيانًا (التعلم بالترفيه/ التسلية/ باللعب) أكثر وأسرع نجاحًا من الحلول أو الأساليب المعقّدة أو المُجهدة، وكذلك قد يكون الأسلوب الفكاهي الساخر أبلغ وأكثر تأثيرًا من الأسلوب الجاد.

وأظن الدكتور أحمد مطلوب وجد خيطًا يجمع بين عبدالله العثيمين والشاعر مصطفى وهبي التل الملقب بـ (عرار) في ظاهرة (السخرية) فاقتبس اللقب ليجعله عنوانًا لكتابه عن العثيمين (عرار نجد: قراءة في شعر عبدالله العثيمين، ٢٠١١م).

يظهر في شعر عبدالله العثيمين الأسلوب الساخر، حتى في المواقف الجادّة، ولكنها السخرية المرَّة (السخرية السوداء)، حين ينظر في قضايا العرب والمسلمين فلا يرى بصيص نورٍ قريبٍ لانجلائها، ففي قصيدة (شجون وراء الحدود) يقول عن الوضع السياسي:

والرؤساء نادرٌ
من لم يخُن تعهُّده
أغلبهم في قلبه
على الرشاد مَوْجِدة
تكبَّد الشعب على
يديه ما تكبَّدة

(١٣) محمد حبيبي، الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي، ١/ ٨٦.

من محنٍ تفرضها
أوامرٌ مشدَّدة
وحولَه عصابةٌ
فاسدةٌ ومفسدة
بكل أنواع الأذى
نفوسُها مزوَّدة
ترى الحرام واجبا
أو سنَّةً مؤكدة
فتنهبُ المال وتلهو حُرَّةً مبدِّدة
وتنزل البطش بمن
لم يولها تودَّده
أو جعل الشرع الكريم في الحياة مورده
والدول الكبرى تعيث في الدُّنا مستأسدة
غاراتها محمومةٌ
على الشعوب المجهَدة
تسلبُها حقوقَها
بصلفٍ وعربدة
وتدَّعي بأنها
مخلصةٌ ومنجِدة
وكم تجلَّى حيفُها
في الأمم المتحدة
ومجلس الأمن «الأمين» حوَّلته مصْيَدة

وفي قصيدة العولمة التي كتبها وقدّمها، عام ٢٠٠٢ م، في بيروت في مؤتمر (تراثنا: الواقع والمستقبل في ظل العولمة) يصور بريشته فهمه لمشروع (العولمة)، بأسلوب فكاهي ساخر:

أن تحكم الدنيا عصابات ابتزاز مجرمةْ
تفعل ما يحلو لها باطشة مهدِّمةْ
لأنها في العالمين الخصم والمحكَّمةْ
ومن يَفُهْ بكلمةٍ عن جورها أو مَظْلمةْ
غدا سليم رأسه جمجمَة مهشَّمةْ
وأن تظلَّ أمتي مهانَة مشرذمةْ

يزيدها مَرُّ الليالي فرقةً وأقلمهْ
وأن يُرى أحرارها أفواههم مكمَّمهْ
كيلا تُمسَّ كبرياء النخبة المنعَّمهْ
والخيل عن جموحها المخيف تُبقى ملجمهْ
هذا الذي أعرفه عمّا يُسمَّى العولمهْ

وتظهر الدعابة والفكاهة في شعره في أثناء حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية كل عام، فغالبًا ما يُقدّم في هذه المناسبة السنوية أبياتًا ترحيبية بالفائزين بأسلوب فكاهي، كما في تقديمه للدكتورة / سنثيا كينون الفائزة بجائزة الطب عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م في موضوع (الشيخوخة) قائلا:

سلِمتِ مليكة الطب الحبيبه
وجُنّب شخصك الغالي المصيبه
فأنت بخدمة الإنسان رمزٌ
يُشار إليه في الدنيا الرحيبه
وأنتِ بعلمك السامي انتصارٌ
تحقّقه مؤهلةٌ لبيبه
بعثتِ سنا الرجاء لكل شيخٍ
بأن يلقى بما يهوى مشيبه
فلا عجبٌ إذا مالت قلوبٌ
إليك فأنتِ مالكةٌ حبيبه

وكما نقرأ في قصيدته (لا الشوق خفّ)، لا تسلني، ص١٣، وهي قصيدة غزلية بفتاة بريطانية (حيث مقرّ بعثته)، رآها تجري في الملعب، فأُعجب بها وأنس بها وأنست به، ثم اكتشف فيما بعد أنها احتالت عليه، فلم يكن هو عاشقها الوحيد:

ألهتْ متيّمَ بحث عن دراسته
وبدّلتْ رغبةً في نفسه مللا
حتى غدا باحثًا عما يقرّبه
منها ويختلق الأعذار والسُّبلا
يؤمُّها كل سبتٍ كي يلاعبها
ما غرّها مرّة سهوًا ولا كسلا
وما عهدناه ممن همّه كُرةٌ
ولا تدرّب بـ(الفتبول) أو عملا

لكن من أوقعته في حبائلها
قد أوجدت منه في ميدانها بطلا
ولا يُلام مُحِبٌّ في تصرّفه
من يقرأ الأدب الماضي يجد مثلا
ما من فتًى غرقت في الحب مُهجتُهُ
إلا أطاع لأمر الحب وامتثلا
وزهرة الروض كم أغرى تفتّحها
طرفًا فما صدّ عن رؤياه أو غفلا
ما زال يذكر إذ حيّته أن هوًى
من سحرها لامس الوجدان فاشتعلا
وراح يسأل عنها الخلَّ فارتسمت
على محيّاه روح الحب قلتُ: هلا
كلا الضريرين أردته مفاتنها
فتاهَ في حُسنها الجذّاب وانشغلا
كلا الضريرين لا حظٌّ يُساعده
ولا فؤادٌ عن الجنس اللطيف سلا

الصورة السادسة: العثيمين (شاعر الجائزة).

عمل الدكتور العثيمين أمينًا عامًا لجائزة الملك فيصل العالمية أكثر من خمسة وعشرين عامًا، وشهد مراحل نموّها وتطوّرها ونضجها، ونشأت بينه وبين الجائزة - خلال هذه الحقبة - علاقة (عمليّة) و(وجدانية)، وكان يتأمل توهّجها وفتوّتها كما يتأمل العاشق معشوقته، فحين بلغت الثلاثين نظم قصيدة بعنوان (بنت الثلاثين) في ثلاثين بيتًا، بدا فيها يتغزّل بجمالها وفتنتها:

وقلتُ ما قلتُ عن مُضنًى صبابته ... أوارها ضجّ في الوجدان واحتدما
وعن معاناة من أودى الهيام به ... حتى ذوى الجسمُ في برديه وانصرما
لم يلتفت لرقيب العمر يعذله ... ولا بما يقتضيه أمره التزما
وقلتُ والقول ما كانت بوادره ... صدقًا وكان مع الأفعال منسجما
ماكنتُ متخذًا ركب الهوى عضدًا ... ولا تعشّقتُ من لوعاته الألما

لو لم تكن تخلب الألباب فاتنتي ... طرفًا وثغرًا تلذّ العين مبتسما
لو لم تكن تتباهى رفعةً وعُلا ... بين الأنام وتزهو في الورى شمما
مليكةٌ ترتدي في يوم زينتها ... ثوبًا قشيبًا بديع اللون محتشما
بنت الثلاثين عامًا فيض راحتها ... أوفى وأجزل في أرجائها كرما
بنت الثلاثين ماحادت مسيرتها ... لذروة المجد عن نهج لها رُسما
سل الخبير عن الترشيح هل لزمت ... غير الحياد؟ وإلا فاسأل الحكما
بنت الثلاثين ما أسمى رسالتها ... غرّاء تختار من أرجائها القمما
من مشرق الأرض أو من حيثما غربت ... نال الجديرُ بها الإكرامَ واستلما
كم رائدٍ قدّرت فيه ريادته ... فقدّرت في صدى تقديره أمما
ما بين خادم إسلام يميّزه ... قولٌ وفعلٌ همى كالغيث نفعهما
وعالم فاق في دنيا تخصصه ... من كان في جيله من نخبة العُلَما
ومبدعٍ زانه فكرٌ وموهبةٌ ... فطوّعت يده في طرسه القلما
بنت الثلاثين: إنجازًا تعهّده ... مَنْ حارب اليأس في دنياه والسأما
أعطى الإمارة ما شاءت مطالبها ... وراق ما خطّه شعرًا وما رسما

وكان حفل تسليم الجائزة الذي يحضره الملك، أو من يُنيبه، مناسبة جليلة ومهيبة، يحضره الفائزون والأمراء والضيوف والمثقفون، وغالبًا ما يستغل الدكتور العثيمين، رحمه الله، المناسبة حين يحين موعد تقديم الفائزين، فيقدّم بين يدي المناسبة أبياتًا يعبّر فيها عن بهجته بإعلان أسماء الفائزين، وانتهاء أعمال دورة الجائزة؛ فاجتمعت لديه نصوصٌ شعرية جمعها وأصدرها في ديوان صغير سماه (صدى البهجة) عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ففي إحدى قصائد الديوان سمّى الجائزة: مليكة القلب، نظمها بمناسبة حفل توزيع الجائزة وإتمام مبنى الفيصلية عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م فقال:

ومليكة القلب الولوعِ مليحةٌ ... ما طُوّقت خصرًا ولا رُشفت لمى
عذريةٌ حُلل الطهارة ثوبها ... ما أروع الثوب النقي وأطهرا
وطنٌ تضمّ المسجدين رحابه ... أرأيتَ أطهر من ثراه وأكرما
وعلى الشريعة أُسّست أحكامه ... غرّاء أنزلها الإله وأحكما
ومظاهر الإنجاز أصدق شاهدٍ ... عما بناه حضارةً وتقدّما
وأنا الذي أرواه فيض نمائه ... وزها بما قد شيد فخرًا وانتِما
أرنو إلى الحفل البهيج وكيف لي ... عن نشوة العرسين أن أتكلما

عرسٌ يُقدَّرُ في نسائم ظِلّه ... مَن قدّم الإنسان فيما قدّما
أو لم يكن قَدْرًا ورَفْع مكانةٍ ... في محكم القول المُنزّل كُرّما
والعُرس إذ بلغ البناء تمامه ... وغدا جبين (الفيصلية) مَعْلَما
يبني، ويشكر مَن تفضّل، فتيةٌ ... ويزيد ربّ الكون فيما أنعما
أحفاد مَنْ أبلى ووَحَّدَ وابتنى ... مجدًا صداه يرنّ في كبد السما
عبدالعزيز من استظلّ بحزمه ... آت هفا نحو العتيق وأحرما
وبنو الذي حذق السياسة حنكةً ... وبفنّها كان الخبير المُلهما
لم تثنه الأحداث عن تصميمه ... يومًا ولم يألف عسى أو ربما
وإذا الأصول زكتْ رأيت فروعها ... مزدانةً بالخير زاكية النما

فكان شعره سجلاً تاريخيًا للجائزة ومسيرتها ومراحل تطورها، وكانت كل دورة للجائزة موسمًا للعمل الجاد الرصين، فإذا انتهى الموسم بإعلان الفائزين وتسليم الجوائز، عبّر عن ابتهاجه وفرحته بنجاح الدورة، وهو نجاح للمملكة ولمؤسسة الملك فيصل ولأمانة الجائزة جميعًا.

د. عبدالله العثيمين والهمُّ العربي

أ. د. أحمد بن محمد الضبيب

أستاذ بكلية الآداب جامعة الملك سعود (سابقا) الرياض

إن الحديث عن شخصية الدكتور عبدالله العثيمين يمكن أن ينطلق من عدة محاور. فالرجل، بما حباه الله من حضور جاذب في عدة جوانب، يتشعب الحديث عنه بتشعُّب تلك الجوانب. تستطيع أن تتحدث عن أبي صالح الإنسان بما تراه في قسمات وجهه الهادئه المعبرة، التي تمتلئ بالسلام أحيانًا، وبالثورة أو الأسى أحيانًا أخرى. تجده منبسطًا أجمل ما يكون الانبساط عندما يخلو مع أصحابه ولداته في لحظات يتذاكر فيها معهم أحاديث الشباب، أو يتناول فيها قصص الأجداد وأحاديث الآخرين، فتسمع منه عذب الحديث، وأجمل ما يحفظ من أبيات الشعر النبطي، التي ترسم صورًا لعشق الحياة بجمالياتها المختلفة، أو الاعتبار بحوادثها، أو الشكوى من أهلها. حديثه عن الماضي في صورته الاجتماعية حديث شائق، وهو يختلف عن موقفه بوصفه مؤرخًا. هناك تجده يسير على سجيته دون عوائق المنهج. لقد عُرف العثيمين بين جلسائه بخفة الروح وحضور الشاهد من شعر عامي، أو مثل سائر، أو حكاية منتقلة عبر الأجيال. ومع ذلك فقد عُرف بدقة الملاحظة، وعفة اللسان، فمهما بلغ بك النقاش معه لن تسمع منه إلا لفظًا مؤدبًا، ولن ترى فيه إلا سمتًا رصينًا.

وأحيانا يتلون مجلسه بلون الحياة المضطربة التي يعيشها العالم العربي هذه الأيام، فتبدو لك شخصية العثيمين العروبي الذي يتحمس لقضايا أمته أشد التحمس، ويغار عليها أشد الغيرة، ذلك الرجل الذي لم تطوح به قوميته بعيدًا من دينه الإسلامي؛ فقد مزج بينهما، وبخاصة في أخريات حياته، مزجًا كاملًا أذاب التناقض المزعوم بينهما وعزز الوحدة والانسجام، بعد أن حاول القوميون الجدد الابتعاد عن الإسلام. وقدح الإسلاميون الجدد في فكرة العروبة؛ فقسموا بذلك الأمة إلى فسطاطين ما كان لهما أن يكونا. لقد مثل العثيمين في ذلك جيلًا لا يرى تناقضًا بين العروبة والإسلام، وإنما يرى في اجتماعهما تكاملًا رائعًا، وتقوية لدعائم حضارة عربية إسلامية شاملة. فالعروبة، بعد أن غمرها الإسلام بنوره، شعلة إسلامية، والإسلام دين عالمي، فمن أين يأتي التناقض وقد صبغت العروبة، بوصفها هوية، المنطقة العربية بحضارة إسلامية واحدة، فأصبح كل عربي مسلمًا حضاريًا وإن لم يسلم دينيًا. أقر بذلك النصارى وجميع الطوائف الأخرى. فحضارة الإسلام هي التي منحت هذه الشعوب لغتها وهويتها، وهي التي صاغت أفكارها وعاداتها

وتقاليدها، وجعلت منها أمة مميزة بين العالمين. وما هذه الدعوات التي نسمعها بين الحين والآخر من دعاة الأعراق وأبواق التشرذم الطائفي والاثني واللغوي إلا أدوات جديدة يحاربنا بها الأعداء من أجل فك هذه اللحمة القوية بين العروبة والإسلام، والقضاء على الحضارة العربية الإسلامية، وهذا ما تُحَرِّضُ عليه مؤلفات القوم ابتداء من هنتنجتون في كتابه الشهير « صراع الحضارات»، الذي كان نذير الشؤم لما يحدث الآن في بلادنا العربية، ولم يكن هنتنجتون الوحيد؛ بل رافقته وتبعته عصابات من محترفي الكراهية بين الشعوب، من أحزاب اليمين المتطرف في الغرب، وغيرهم من مُنَظِّري سياسة الهيمنة في هذا القرن، تلك الهيمنة التي تذكي الصراعات وتشعل التناقضات بين الأمة الواحدة والشعب الواحد، من أجل أن تسود العالم حضارةُ أخرى تصبغه بصبغتها الكاملة، وتحيله إلى تابع لها يسير في ركابها ويخضع لها.

لقد رافق الهم العربي العثيمين وعاش معه طوال حياته، ولا غرابة أن كانت بداياته الأولى، كما كانت عند لداته، تبشيرًا بقرب زوال المستعمر، وترديدًا لأناشيد الوحدة، كما كان يفعل جميع أدباء المملكة، في الحقبة التي تَشَوَّفَ فيها العرب لانجلاء غمة الاستعمار الغربي عن أراضيهم في الشرق العربي والمغرب العربي. وكانت نداءات الانعتاق من هذا المستعمر تنطلق في أرجاء هذا الوطن من الكويت حتى نواكشوط، أملًا في بزوغ نور الحرية لجميع العرب، واستشرافًا لسنوات الاستقلال من جميع جوانبه، وتوقًا إلى الحرية والعدالة والمساواة والتقدم، وانتشار العلم وتحريك الأدمغة بالاختراع والابتكار. وكان العرب حينها يعتقدون أن جلاء الاستعمار العسكري سيتبعه نهضة وقوة، تُمكِّنان العربي من تحرير فلسطين، تلك القضية التي هي رمز النضال العربي، والتي لن يهدأ بال للعرب ما لم تكن دولة تضم شعبها المشتت في أنحاء العالم الفسيح.

لكن العثيمين، كغيره من لداته الذين عاشوا المرحلة واكتووا بنارها، وشاهدوا تبدلاتها وتحولاتها، وألاعيب الغرب المخادع فيها وحولها، ما لبث أن عرف أن الآمال المعقودة قد تبخرت، وأن زوال المستعمر لم يكن كافيًا لتحرير الأرض والفكر، وأن دولًا بعينها ما تزال تلعب لعبتها القذرة من أجل السيطرة على المنطقة عسكريًا وسياسيًا وثقافيًا. وهكذا مُنيت منطقتنا بالهزائم تلو الهزائم، والانتكاسات تلو الانتكاسات. وهذا ما شغله في كتاباته الصحفية فأخذ يطيل الحديث حوله، عبر مقالات يصف فيها الواقع العربي، وينبه فيها على حجم المؤامرة الكبرى التي تتعرض لها هذه المنطقة. ثم خصص لهذا الموضوع أحد كتبه معنونا إياه بـ «مقالات عن الهم العربي».

ولسنا ندعي أن العثيمين هو الوحيد الذي كتب عن هذا الهم العربي أو بَيَّتَهُ للناس، لكنه شارك في كثير مما كتبه بالحديث عنه، وخرج من ملحوظاته ببعض الأفكار التي أكثر التركيز عليها في كتاباته، منها:

عودته إلى القرآن الكريم وتنزيل بعض آياته وتشبيهاته على الواقع السياسي.

من ذلك تشبيهه أمريكا بعاد الأولى، فقد عنون إحدى مقالاته بـ « عاد هذا الزمان»، ثم كرر هذه الفكرة عدة مرات في مقالاته، وقد شرحها قائلا: «لقد أمد الله قوم عاد الأولى بأموال وبنين، وجنات وعيون، حتى وصف قاعدتهم إرم بأنها لم يُخلق مثلها في البلاد، لكنهم لم يرعوا نعمة الله عليهم؛ بل استكبروا في الأرض بغير الحق، وقالوا: من أشد منا قوة؟

وأمد الله الأمريكيين بأنواع من النعم الجليلة، ومن هذه النعم الجنات والعيون والثروات الطائلة، وامتلاك أَزِمَّة التصنيع، وإدارة الاقتصاد إدارة جيدة، كما أمدهم بالبنين، وذلك بزيادة هجرة العقول المتعلمة، والأيدي المدربة إلى بلادهم من جميع أقطار العالم، لكنهم لم يشكروا تلك النعم؛ بل جعلوا المال مقدمًا على أي مبدأ روحي أو إنساني، ووقفوا موقف قوم عاد الأولى المتمثل في تساؤلهم: من أشد منا قوة؟ فتحدت دولتهم دول العالم كلها بإعطائها خيارًا واحدًا – هو أقرب إلى أن يكون إنذارًا –إما الوقوف معها دون نقاش، وإلا فإنها ستُعَدُّ عدوًا لها يمكن أن تهاجمه متى شاءت» (مقالات عن الهم العربي، دمشق: دار الرائي، ٢٠٠٥، ص ١٥٢)

وأورد العثيمين صورًا من بطش الولايات المتحدة، الذي هو بطش الجبارين، بعقابها اليابان حين ضربتها بالقنبلة الذرية، وبضربها أفغانستان بقسوة بحجة حادثة ١١ سبتمبر، التي تعرف هي قبل غيرها أنها ملفقة، وكذلك بمعاملتها أسرى جوانتانامو، ثم بغزوها العراق دون ذنب.

هل يتنبأ الكاتب للولايات المتحدة بمصير يشبه مصير عاد الأولى ؟ ذلك ما يقوله في آخر مقاله: «وإذا كانت عاد الأولى قد استكبرت في الأرض بغير الحق، وتشدقت بقولها: «من أشد منا قوة»، ولم تر أن الله الذي خلقها هو أشد منها قوة قد حاق بها عذابه الشديد، فإن الولايات المتحدة، عاد هذا الزمان، التي تتصف بكثير من صفات « عاد الأولى» المقيتة ليست في منأى عن قدرة الله الذي قال في محكم كتابه: (إن ربك لبالمرصاد).» (الجزيرة، ع ٥٢٧٥١، ٥٦، ١٤٢٢/١٢/٠٧ -٢٠٠٢/٣/١١).

ومن ملحوظاته التي يستمد فيها المشابهة بما جاء في القرآن الكريم حديثه عن الديموقراطية في المجتمعات الغربية، ومن أسسها الحرية رأيًا وتعبيرًا، واحترام حقوق الإنسان، وتحمل السياسي لمسؤولية عمله، وبخاصة في حالة الإخلال بالأمانة، وكيف تتعامل السياسات الغربية مع المجتمعات الأخرى بما يناقض هذه المبادئ، أو بِغَضِّ الطرف عنها، فهي تنظر إلى هذه المجتمعات نظرة مشابهة «للنظرة التي ذكر الله في محكم كتابه أن اليهود بنوا عليها مواقفهم تجاه الآخرين، قائلين: (ليس علينا في الأُميين سبيل)؛ ولذلك لم يمنع تبنيها للديموقراطية ومبادئ الحرية والعدالة بعض دولها من العدوان على أقطار أخرى، واستعمار أراضيها، والتنكيل بأهلها... ثم ما ارتكبه المستعمرون الأوروبيون في أمريكا الشمالية بالذات من جرائم ضد سكانها الأصليين. وما وقع من فرنسا، التي

نادت ثورتهـا بالحـرية والعـــدالة، من عدوان على شعوب كثيرة»، ويورد من الأمثلة تقاسم الغرب للأراضي العربية بعد سقوط الدولة العثمانية، ومساعدة الصهاينة في فلسطين على احتلالها، وعدم مناصرة أمريكا للحكام المنتخبين بإرادة ديموقراطية شعبية حرة حين أطاحت بهم، من أجل إحلال حكومات دكتاتورية على عكس مبادئها، ويمثل لها بحكومة الليندي في تشيلي، وحكومة مصدق بإيران.

وفي مقال آخر يستنكر رأي بعـض الكتـاب الذيـن رأوا في جرائـم سجـن أبو غريب من قبل الأمريكان أنها «تجاوزات فردية شنيعة» حصلت خارج أمريكا ومن أفراد معدودين وبعيدا من سلطـة القـانون، ونحـو ذلـك مـن التسويغـات؛ فيقول مستنكرًا: «إن من قال الكلام السابق لو فكر في مدلوله وفي الحقائق تفكيرًا جادًا لما قاله. فكون الجريمة ارتكبت خارج أمريكا لا يرفع عنها صفة الإجرام ، ولا يعفي مرتكبها المباشر أو الآمر بها من الإدانة، وهل يجوز الدفاع عن نظام يضع من اعتقلهم دون محاكمة في سجن لا يبعد إلا بضعة أميال عن أراضيه ليتسنى له ارتكاب ما شاء من جرائم بحق المعتقلين كما هي الحال في معتقل غوانتانامو؟ «(مقالات في الهم العربي، ص٢٢٥ -٢٢٦).

ثم يخلص من ذلك إلى القول: «إن من يتأمل تاريخ أولئك القادة والمسؤولين (يقصد الغربيين) في تعاملهم مع المجتمعات الأخرى؛ سواء التي كانت قبلهم في القارة الأمريكية أو التي اعتدوا عليها خارجها، يجد أن طبيعة الجرائم التي ارتكبوها متشابهة من حيث نزعة مرتكبيها الشريرة، الهادفة إلى البطش غبر المحدود بمن أرادوا قهرهم، والتخلص منهم غير مراعين لحقوق الإنسان، أو متصفين بالصفات التي تراعيها قوانين الحروب بين البشر (نفسه، ٢٣٠).

ومن مواقف العثيمين التي تعرضها مقالاته: إصراره على أن هجوم الغرب على بلادنا العربية ليس هدفه المصالح الاقتصادية والسياسية وحسب، ,وإنما يحمله على ذلك عداء ديني متجذر وعقيدة لاهوتية يتبناها المحافظون الجدد، وبخاصة في الولايات المتحدة، فيقول: «من المؤسف أن يوجد من كتاب أمتنا من يجهل هذا الأمر أو يتجاهله فإذا دار نقاش حول موقف أمريكا من قضايانا مط شفتيه قائلًا: «مصالح»، وهو بهذا القول يعني أن المحرك لها هو العامل الاقتصادي فقط. نعم .. إن العامل الاقتصادي مهم، لكن العامل الديني موجود وأساسي لدى المحافظين الجدد بالذات. فإن «أكثرهم -إضافة إلى جهودهم التنصيرية الواضحة في كثير من بلدان العالم الإسلامي بما فيها منطقة الخليج العربية -يتبنون مذهبًا دينيًا من أهم مبادئه الاعتماد على ما يسمى بالعهد القديم، ومعتنقو هذا المذهب يؤمنون أعمق الإيمان بوجوب مناصرة الصهاينة في فلسطين» (مقالات عن الهم العربي ص ١٩٣).

لقد شرح العثيمين هذه الفكرة في سلسلة مقالات بين فيها كيف أن ظهور البروستانتية سنة ١٥٤٦م على يد مارتن لوثر يعد نقطة تحول في ظهور التصهين والدعوة إلى إنشاء دولة لليهود في فلسطين، فقد اعتمدت هذه الحركة على العهد القديم أكثر من الاعتماد على الإنجيل «وتسربت إلى العقيدة المسيحية الجديدة الأدبيات اليهودية، المركزة على ثلاثة أمور، الأول: أن اليهود هم شعب الله المختار، والثاني: أن هنالك ميثاقًا إلهيًا يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين والثالث – وهو مهم جدًا – ربط الإيمان المسيحي بعودة المسيح المنتظر بعودة تجمع اليهود في فلسطين» (نفسه٢٧٠-٢٧١).

لقد أنحى العثيمين باللائمة، في مواضع كثيرة من مقالاته، على أولئك الكُتاب العرب الذين أحسنوا الظن بسياسة قادة الولايات المتحدة وغيرهم من زعماء الغرب، من منطلق عدم ملاحظتهم تلك المؤامرات الواضحة والخفية التي مازال هؤلاء يحيكونها للمنطقة العربية. وقد رد عليهم في مقالاته دون ذكر أسمائهم لأنه كان يناقش فيما رآه الأفكار لا الأشخاص. ووصم بعضهم بالابتلاء بمرض حب أمريكا. ففي تعليق له على قصة تعذيب امرأة عراقية من قبل الجنود الأمريكان يقول: «وقصة تعذيب تلك المرأة مرعبة لكل من لديه ذرة من شعور إنساني، وجديرة بأن يقرأها الجميع؛ وبخاصة من في قلوبهم مرض اسمه مودة أمريكا والإعجاب بمبادئ سياستها وأخلاقها» (نفسه ٢٥٠-٢٥١).

وهو يرى باستقراء التاريخ أن تغيير رئيس أمريكي بآخر عن طريق الانتخاب لا يعني شيئًا مختلفًا بالنسبة للعرب ولقضيتهم الأولى قضية فلسطين، فمنذ الرئيس ويلسون الذي نادى بمبادئ جميلة، وحتى الرئيس الحالي، لم يدخر أي واحد منهم جهده في تقديم خدماته للصهاينة على حساب الحق الفلسطيني (نفسه ٢٩٢ -٢٩٣)، ولذلك فإنه يتعجب من اهتمام العرب بالانتخابات الأمريكية، إذ أن شهاب الدين، كما يقول لا يقل عن أخيه (٢٩٣)؛ ويتبع ذلك بذكر حادثة طريفة تشخص الواقع في الغرب، وقد حدثت له في بريطانيا عندما كان طالبًا، فقد علم أن سوقًا لليهود تُعقد في لندن، يوم الأحد من كل أسبوع، يقول: «وراودتني نفسي الأمارة أن أزور ذلك السوق للفرجة، فسألت أحد رجال البوليس البريطانيين: أين سوق اليهود،؟ ويبدو أنه اطمأن إليَّ من رؤيته لملامحي، وسماعه لهجتي الأسكوتلندية المعوجة، فكان جوابه: هيه .. أيها الشاب، هل يوجد سوق غير يهودي؟!!»، ويتساءل بعد ذلك هل يمكن أن يحتل رئاسة البيت الأبيض من لا يرضى عنه الصهاينة؟.

تلك بعض الأفكار الأساسية التي كان يستند إليها الدكتور عبدالله العثيمين في كتاباته الصحفية، أردت أن أعرضها، في هذه المناسبة، بحسب ما يتسع له وقت هذه الجلسة المحدود، سائلًا الله أن يجزيه خيرًا كفاء جهوده في التوعية والتنبيه لأبناء أمته، وأن يسبغ عليه شآبيب رحمته ورضوانه.

شهادة وفاء وعرفان لروح العلاَّمة المرحوم عبدالله الصالح العثيمين

أ. د. عباس بن عبدالله الجراري
مستشار جلالة الملك محمد السادس – المغرب

الحمد لله المتفرد بالبقاء، والقاضي على خلقه بالفناء، والمنعم على أمته بالصبر والاحتساب عند نزول البأساء، وواعد الصابرين منهم يوم الحساب بالجنة وحسن الجزاء. يقول تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾[1].

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي نتمثل في هذا الموقف الحزين بقوله المبين: «من أثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنتم شهود الله في الأرض، أنتم شهود الله في الأرض، أنتم شهود الله في الأرض»[2].

وبعد، فإنه لصعب عليَّ – والقلب دام والعين دامعة –أن أحضر هذا الحفل التأبيني الهائل الذي تقيمه هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، برعاية صاحب السمو الملكي الأمير الجليل خالد الفيصل، مستشار خادم الحرمين الشريفين وأمير منطقة مكة المكرمة. وفاء وعرفانًا منها لأمينها العام، وكذا من الذين تربطهم به وشائج المحبة والإخاء؛ المؤرخ الكبير والشاعر المبدع الأستاذ الدكتور عبدالله الصالح العثيمين الذي لبى داعي ربه[3]، تحقيقًا لقوله سبحانه: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[4]، و ﴿كل من عليها فانٍ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾[5].

وإني لأقف منحنيًا بتأثر وخشوع في هذا المشهد المهيب، أمام المصاب الجلل الذي حل بالمملكة العربية السعودية الشقيقة، وبالأمة العربية الإسلامية التي فقدت بموت الراحل الكريم أحد أعلامها البارزين وأقطابها المتميزين. فقد فُجعنا جميعًا لفقده الذي هز مشاعرنا، وأبقى كلماتنا عاجزة عن التعبير عما أصابنا برحيله من رُزْءٍ جسيم وخَطْبٍ عظيم.

(١) سورة البقرة، الآيتان ١٥٥–١٥٦
(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في سننه عن أنس بن مالك.
(٣) توفي مساء الثلاثاء ١١ رجب ١٤٣٧هـ الموافق ١٩ أبريل ٢٠١٦م.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٨٥
(٥) سورة الرحمن، الآيتان ٢٦–٢٧

وكيف، وبرحيله رحلت شخصية فريدة استثنائية، وطُويت صفحة مشرقة من التاريخ والشعر والظَّرف كذلك، ومن ثقافتنا عامة. وهي صفحة سيعاني طيها أحباؤه وزملاؤه وتلاميذه الذين تعلموا وأفادوا من تراثه الغني الغزير، وسائر الذين عرفوه وتتبعوا جهوده الحثيثة في خدمة وطنه ودينه وأمته، بتاريخها وفكرها وقيمها الإسلامية السامية؛ مما سيظل به حاضرًا في أذهاننا وعقولنا وقلوبنا، وفي بطون البحوث والدواوين التي أودعها خلاصة علمه وزبدة مشاعره.

أصحاب المعالي والسعادة الأماثل

حضرات السادة الأساتذة الأفاضل

إن في ذهني كثيرًا من الذكريات الدالة على عمق الروابط التي كانت تجمعني بالفقيد العزيز، منذ أكثر من أربعة عقود، والتي لم تكن تزداد مع الأيام إلا رسوخًا وثباتًا وتأكيدًا لمشاعر المحبة والوفاء والتقدير. وإنه ليس سهلًا عليَّ - إن لم يكن من المستحيل - أن أستحضرها كلها أو جلها، فضلًا عن اختزالها في شهادة وجيزة.

فقد تشكلت هذه الروابط الحميمة التي جمعتنا، منطلقة من العلاقات الرفيعة التي آخت بين بلدينا الشقيقين، على مدار فترات تاريخية بعيدة سارت خلالها في تطور وتنام دائمين. ثم تقوت في المراحل المعاصرة بما زادها غنى ورسوخًا وثباتًا ؛ ولا سيما في هذا العهد الزاهر بقيادة خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك سلمان بن عبدالعزيز، وجلالة الملك محمد السادس حفظهما الله وأيدهما بِعِزِّهِ ونصره؛ إذ شهدت طفرة كبيرة غير مسبوقة في مختلف المجالات الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية، يكفي للدلالة عليها ما نقرأ وما نسمع؛ بل ما نعيشه في كل لحظة من مواقف التعاون والتآزر والتضامن. وهي مواقف -بنموذجيتها ومثاليتها -نابعة من سياسة حكيمة ومتزنة ومتوازية، تسعى بمبادئها واختياراتها وأهدافها المشتركة، إلى الحرص على التوسط والاعتدال، ومقاومة العنف والتطرف، وإحلال الأمن والاستقرار، وخدمة قضايا السلم عامة.

أما المجال الثقافي الذي تعددت لقاءاتي في أبهائه مع مؤبِّننا رحمه الله، فهو أوسع وأرحب من أن أشير إلى بعض جوانبه في عُجالة هذه المناسبة؛ بدءًا من الأواصر الجامعية التي تربطنا إلى الأنشطة الثقافية التي كنا نتطلع إلى تطويرها وتنميتها، بتشارك دائم وتعاون مستمر. ولا أخفي أن مما شدني إلى الفقيد العزيز كبير اهتمامه بالتاريخ الوطني، وفائق اعتنائه بالشعر إبداعًا ودراسة. وكنا -كلما التقينا -نتجاذب الحديث عنهما ونثير القضايا التي تشغلنا بشأنهما، وهي متعددة.

ومن عجيب أن اهتمامه بالتاريخ؛ بل تخصصه فيه، لم يكن من قبيل المصادفة أو الاختيار العفوي، ولكنه كان تحت ضغط ظروف اضطرته إليه. فقد ذكر لي أنه تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في معاهد مدينته عنيزة، إحدى أهم مدن القصيم بنجد. ففيها ولد[٦] ونشأ وتعلم، إلى جانب شقيقه العلامة المرحوم الشيخ محمد الصالح العثيمين[٧]. وكان دائم الحديث عن هذه المدينة بانتشاء واعتزاز، يردد أبياتًا من قصيدة له يتذكرها وهو في غربته باسكتلنده يهيئ أطروحته، كما سنشير بعد، وفيها يقول:

كم قد مكثت بعيدًا عن مفاتنها
أغالبُ السُّهدَ في اسكتلند مغتربا
و كم بعثت أناشيدي لأخبرها
أني على العهد طال الوقت أم قربا
لواعج الشوق كم كانت تؤرقني
و كامن الوجد كم أذكى دمي لهبا
من كان مثلي بالفيحا تعلقه
فلا غرابة إن عانى ولا عجبا
أحلى العرائس ما من عاشق لمحت
عيناه فتنتها إلا لها خطبا
تنام ما بين حال كله شممٌ
و بين كثبان رمل كلهن إبا

كما كان يردد أبياتًا من قصيدة عبدالله بن الدُّمينة التي مطلعها:

ألا يا صَبَا نجدٍ متى هجت من نجدِ
لقد زادني مسراك وجدًا على وَجْدِي

ثم انتقل إلى الرياض حيث التحق بجامعة الملك سعود التي نال فيها شهادة الإجازة في التاريخ، وهو التخصص الذي اضطر إليه بدلًا من التخصص في اللغة العربية وآدابها. وكان ذلك نتيجة موقف جريء وشجاع صدر عنه وهو في ريعان شبابه؛ جعله يدخل في نزاع وخصام مع الكبار؛ إذ كان له رأي يؤيد ما ذهب إليه المرحوم الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي. وهو رأي دفعه - شفاهة وكتابة -إلى انتقاد بعض أساتذة قسم اللغة العربية الذين كانوا يومئذ يُدرسون الأدب، وكان فيهم من له رأي مخالف قد يؤثر في تعاملهم معه وهو في أول الطريق.

(٦) ولد عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.
(٧) ولد عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م، وانتقل إلى رحمة الله في عام ٢٠٠١م.

مهما يكن هذا التحول إلى التاريخ، فقد تمكن بعد نيله الإجازة من أن يكمل دراسته العليا في جامعة أدنبره باسكتلندا -كما مر -حيث أنجز أطروحة عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته. وهو ما فتح له الباب واسعًا للعناية بتاريخ الجزيرة العربية الذي درسه بوعي متفتح وإدراك عميق بأهمية هذا التاريخ، وكذا بحس نقدي وجرأة علمية نابعة من شعوره بالحاجة إلى التحلي بحرية الفكر والتعبير؛ مما لم يُستغرب منه، أكرم الله مثواه.

وعلى الرغم مما صادف من معاناة في دراسته، فإنه بعد تخرجه النهائي عُيِّنَ موظفًا في إدارة الجامعة السعودية، ثم مدرسًا للتاريخ فيها متدرجًا من معيد، إلى أستاذ، فرئيس لقسم التاريخ، فعضو في مجلس الكلية وفي المجلس العلمي للجامعة ممثلًا لكلية الآداب. وقد تسنى له بهذا الرصيد الغني أن يصبح عضوًا في مجلس الشورى، فعضوًا في هيئات تحرير مجلات «الدارة» و «العرب» و«رسالة الخليج»، ثم عضوًا مراسلًا في مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة. وقد أنهى مسيرته الوظيفية بمنصب أمين عام جائزة الملك فيصل العالمية، وقد ظل فيه مدة طويلة إلى أن لقي ربه.

وللمكانة التي كانت له في تخصصه وفي غيره من المجالات العلمية، تسنى له أن ينشر عدة مؤلفات ورد ذكرها في مصادر ترجمته وفي مواقع التواصل التي تناولت سيرته، رحمة الله عليه؛ وكنت قد اطلعت على بعضها، وهي:

- تأملات في تاريخ الفكر
- أنت يا فيحاء ملهمتي
- خواطر حول الوطن والمواطنة
- عن الوطن وإليه
- قراءة في كتابات عن تاريخ الوطن
- من وحي رحلات إلى خارج الوطن
- خواطر حول القضية
- كتابات عن التصهين
- مقالات عن الهم العربي
- مقالات عن قضايا عربية
- عام من الذل والانخداع
- بيع الأوطان بالمزاد العلني
- أنت في مقالات عن فلسطين والعراق وقضايا مصيرية.

هذا بالإضافة إلى ما حرره عن تاريخ الجزيرة العربية والشيخ محمد بن عبدالوهاب وإمارة آل الرشيد وتاريخ نجد، إضافة إلى مقالاته وإلى ما ترجم من كتب تتعلق بهذه

الموضوعات. ولم يكن مستغربًا مع هذا النتاج الغزير أن يفوز بجائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز أول إنشائها.

وإلى جانب هذا الاهتمام بالتاريخ، كانت عنايته بالشعر مجالًا خصبًا برز فيه نبوغه الإبداعي، متجليًا في عدة دواوين دالة بتتابعها على تنامي تجربته وتطور أدائه. وكان أصدرها متوالية منذ ديوانه الأول «عودة الغائب» إلى ديوانه «مشاعر في زمن الوهج» الذي قد يكون آخرها. وهذه عناوينها:

- عودة الغائب
- بوح الشباب
- دمشق وقصائد أخرى
- صدى النهجة
- عرس الشهباء
- في زفاف العروس
- لا تلوموه إذا غضبا
- لا تسلني
- مشاعر في زمن الوهج

وتجدر الإشارة إلى أن شاعرنا المنعم، وهو يهتم ببلاده، ما كان لينسى شعرها النجدي النبطي الذي كان أبدع فيه ديوان: «نمونة قصيد»، وكتب عنه كذلك دراسة بعنوان: «الشعر النبطي كمصدر لتاريخ نجد الحديث».

هذا، ولو شئت أن أتحدث عن الشعر الذي أبدعه، طيب الله ثراه، لاحتجت إلى مجال لا تتسع له فسحة هذه الكلمة القصيرة. وحسبي أن أشير إلى أنه مس فيه جوانب كثيرة مما عاشه أو لامسه في مراحل حياته المختلفة، وما كان له فيها من تجارب، بدءًا من المشكلات الاجتماعية، إلى القضايا الوطنية والقومية، ثم إلى الوجدانيات.

وهو في هذا كله ينطلق من إحساس مرهف ووجدان صادق تستبد به غيرة قوية لا تُخفي ما يكابده وتكابد أمته من هموم ومعاناة؛ كما لا تُخفي ما يتطلع إليه وما يؤمله وما يرنو إليه بتفاؤل واستبشار. وإخال القارئ لأشعاره لا يحتاج إلى تمعن عميق فيها كي يتجاوب معها ويتحرك بها وجدانه. وعندي أن ذلك راجع ليس فقط إلى ما تكشف هذه الأشعار أو تبدي من أحاسيس مما سبقت الإشارة إليه، ولكن كذلك إلى لغته الموحية المعبرة، بما يعلوها من قوة وصدق وصفاء، وبما يطبعها من سمات فطرية سليقية لا تُستغرب من شاعر ينتمي إلى مَواطن أنتج مبدعوها الشعر قبل زهاء ستة عشر قرنًا.

وتلكم خصائص ومميزات يزيد في إبرازها - إذا أنشد - صوته العذب ونبرته الشجية، ووقوفُه بعفوية وتلقائية لإلقاء بعض أشعاره؛ ولا سيما في مناسبات خاصة وعامة يبدو فيها رغم نحافة جسمه قامة عالية. ولا أُخفي أن استمتاعي بإبداعاته كان غالبًا ما يتيسر في مثل تلك المناسبات، ولا سيما في بعض الجلسات المسائية الحميمة التي كانت تُعْقَدُ على هامش اجتماعات لجان التحكيم التي كانت تعقدها هيئة جائزة الملك فيصل العالمية في الرياض، والتي كان يبرز فيها براعته حين يحاور ويشارك فيمتع ويفيد، ويدلي برأيه بصراحة عند النقاش. ويبدو بذلك طاقة فكرية وشعورية حية ومتجددة.

وشبيه بها ما كان يتم في بعض الملتقيات والمهرجانات الشعرية التي كانت تُعقد في عواصم عربية كثيرة، وخاصة في مدن مغربية؛ كالرباط وفاس ومراكش وطنجة والعيون، والتي كان يحرص محبوه - وهم كُثر - على أن يحضرها، إذ لا يملأ مكانه أحد إذا غاب. وفيها يشنف الأسماع بأشعاره التي غالبًا ما يخللها بطرائف ونوادر تَزين إلقاءه، وتُعلي نجمه، وتشد إليه الأسماع والأنظار.

وعلى الرغم من أن لي مع الصديق المرحوم عبدالله العثيمين، في هذا الصدد، ذكريات حلوة جميلة مرتسمة في ذهني وفكري، فإن إطار هذه الشهادة المحدودة لن يتيح مواصلة الحديث عنها، وإن كنت أرجو أن يُسمح لي في خاتمتها أن أسوق نص قصيدة له أراها معبرة عن بعض خصائص رائع إبداعه وصادق مشاعره، وما يُحيي في نفسي ذكراه العطرة وخلقه النبيل. وكان ألقاها في الأمسية الشعرية التي نُظِمَتْ بمدينة الرباط يوم السبت السادس والعشرين من يونيو عام تسعة وتسعين وتسعمائة وألف، تكريمًا لصاحب السمو الملكي الأمير الجليل خالد الفيصل رعاه الله. وهي في الوقت نفسه تعرب بجلاء عن عواطف سموه الصادقة نحو المملكة المغربية التي تربطها بالمملكة العربية السعودية أقوى الصلات وأمتن العلاقات.

وقد أمدتني بها - مشكورة - زميلة معتنية، مشهودٌ لها بحسن تنظيم مثل هذه الملتقيات وتتبعها؛ هي الأخت الفاضلة الأستاذة الدكتوره لويزا بولبرس. وذكرت لي أنها واردة في ديوان الشاعر: «دمشق وقصائد أخرى». وفيها قال، رحمه الله، تحت عنوان «أمل في عذر»:

أملي في الحضور أن يعذروني
إن أتي قاصرًا أداءُ لحوني
رهبة الموقف الجليل أضاعت
ما تبقى من عزمي المظنون
الأساطين من ذوي النقد حولي
والمواضي من أعين الغيد دوني

قدرتي في الكلام كيف تُوفي
وصفَ من طاوعته شُوسُ الفنون
أنطقَ الريشةَ البديعة فنًا
عربيَّ الهوى أصيلَ الغُصون
والقوافي له استقامت صبايا
من جمالٍ ولوحَة من فتون
سبَر الشعرَ وانتقى في دُناه
كلَّ غالٍ من دُرِّهِ المكنون
فأتى وحيَ ومضةٍ من شعورٍ
وطنيٍّ وروعة من شجون
بين طياته تباريحُ ليلى
تتجلّى ولوعةُ المجنون
قد رأى الصعبَ في دُنا الصيد أحلى
والرَّعابيب لا تُنال بِهُوْن
أين ذاك الأنين شق صدورًا
ودموعٌ فيهن ريب المنون
والمعاناة أي أمرٍ تُراها
صرخة الوجد أم ضرام السكون
هل تمون العيون خيرُ جواب
عند قلب المولَّه المفتون
ها هو الشاعر الذي كم تراءت
مُقلٌ نحو ركبه الميمون
قد أتى يحمل الوداد صفاءً
من رحاب بين الصفا والحَجون
وثَرى طيبةَ التي مُجتلاها
فيضُ سعدٍ و قرةٌ للعيون
وأتى حاملًا أصالةَ نجدٍ
موطنِ الشعر من تليد القرون

مـــلء أردانـــه شـمـيـــم عَـــرار
وصَـبا مـرَّ فـوق روض الحُـــــزون
جـــادَها أمـــس غـــدوةً ورواحـــًا
صـيِّبُ الغـيث من سحـاب هـتـون
قد أتى يـا «ربـاطُ» هـــل أنـــت إل
ما اقـتضت رغـبةُ العـلا أن تكونـي
تتـملِّين «طنـجة» و هـي تـهدي
قبـلةَ الـود فـوق خـد «العـيون»
و فخـــارًا يَـــزين مثـوى «عياض»
قـبلةَ العـلم والتـراث المصـون
وربـوعًا بهيـجة أثـملتْـها
نـكهة البـرتـقـال و الليـمـون
وتواســين مـــن يقول مـعيدًا
أمـلي في الحـضـور أن يعـذرونـي

أصحاب المعالي والسعادة الأماثل

حضرات السادة الأساتذة الأفاضل

ذلكم بعض ما تسمح به شهادة محدودة، هي دون ما أود التعبير عنه في حق الأخ العزيز المؤرخ الأديب الأستاذ الدكتور عبدالله الصالح العثيمين، الذي ستظل قلوبنا دامية وعيوننا باكية على فراقه. ولا نملك إلا أن ندعو العلي القدير أن يُحسن لقاءه ويكرم ضيافته ويجزل ثوابه، ويجزيه الجزاء الأوفى لقاء ما قدم لدينه ووطنه وأمته من جليل الأعمال، وأن ينعم على أسرته وذويه وأهله ومحبيه بجميل الصبر وحسن العزاء،

و: إنا لله وإنا إليه راجعون.

أشكر لكم حسن إصغائكم.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اللـقـاء الأَخـيـر

أ. د. أحمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي العراقي – بغداد

كان لقاؤنا الأول في الرياض في ذي القعدة سنة ١٤٢٦هـ/ كانون الأول ٢٠٠٥م، إذ كنت عضوًا في لجنة فحص أعمال المتقدمين لنيل جائزة الملك فيصل العالمية، وكان الدكتور عبدالله العثيمين أمينها العام. وفي هذا اللقاء ائتلف قلبانا، إذ جمعت بيننا العقيدة وحب العروبة والوطن.

كنا نجتمع بعد ظهر كل يوم في قاعة الفندق نتحدث في قضايا عامة، ونمس قضية الشعر مسًا رقيقًا. وبدا لي عبدالله في هذه الاجتماعات رجلا شهمًا، ووطنيًا صدقًا، وعربيًا حقًا، وتوثقت عرى المحبة والمودة بيننا، وصار يبعث إليّ ببعض المقالات التي ينشرها في الصحف دفاعًا عن العراق وأمة العرب. عُـدت إلى بغداد ومعي مجموعات شعـره وبعض كتبـه فألفت كتابًا عنه باسم (عرار نجد)، وأرسلته إليه ليطبعه في الرياض.

وكان لقاؤنا الثاني في الرياض في صفر ١٤٢٩هـ/آذار ٢٠٠٨م لأتسلم جائزة الملك فيصل العالمية التي نلتها في ذلك العام، وكانت اللقاءات معقودة بيننا، وازدادت معرفتي به، رحمه الله، وفي أحد الاجتماعات سلمني مخطوطة كتابي (عرار نجد)، ويبدو أنه خجل أن يُطبع كتاب عنه.

عدت إلى بغداد وعزَّ علي أن يظل الكتاب مركونا في الرف فطبعته ببغداد سنة ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م وأرسلت إليه ببعض النسخ.

كان اللقاء الأخير في دبي في محرم ١٤٣٤هـ/ تشرين الثاني ٢٠١٢م، وقد جاء هو والأمير خالد الفيصل لحضور ندوة (لننهض بلغتنا)، وفي هذا اللقاء أخبرني بأن كتابي عنه قد سُرق وطُبع ثانية في بيروت، ثم قال، رحمه الله،: «فضحتني يا أحمد،» ويقصد أنني نشرت بعض قصائده الغزلية.

ولد الدكتور عبد الله العثيمين في عنيزة القصيم في المملكة العربية السعودية، سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م، واستطاع بعزم راسخ، وعزيمة قوية أن يدخل الجامعة، قسم اللغة العربية،

ولكنه انصرف عنه واتجه إلى قسم التاريخ ليصبح مؤرخًا بارعًا، وكان لدراسته في جامعة أدنبره (اسكتلندة) أثر كبير في تفتح مواهبه، وقد حصل سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م على الدكتوراه، ثم عاد إلى وطنه ليخدمه في مجالات شتى، ويتقلد مناصب عدة آخرها الأمين العام لجائزة الملك فيصل العالمية.

كنت آمل أن ألقاه في القاهرة في جمادى الأولى ١٤٣٥هـ/ آذار ٢٠١٤م وأستمع إلى كلمته التي سيلقيها في جلسة افتتاح الدورة الثمانين لمجمع اللغة العربية بمناسبة انتخابه عضوًا عاملًا في المجمع، ولكنه لم يحضر لمرضه وجاءني نعيه يوم الثلاثاء التاسع عشر من نيسان ٢٠١٦م/الثامن عشر من رجب ١٤٣٧هـ.

عُرف العثيمين، رحمه الله، مؤرخًا لتخصصه في التأريخ وتأليفه عدة كتب فيه وكتابة عدة بحوث علمية، ويعجب متتبع أعماله حين يجد له عدة مجموعات شعرية تدل على شاعرية فنان.

كان الوطن شغله الشاغل منذ أن كان في مقتبل العمر، وكان يحن إليه وهو في ديار الغربة، وما أن عاد من انجلترا ومست عجلات الطائرة أرض وطنه حتى نظم قصيدة (عودة الغائب) بث فيها حنينه وأَشواقه إلى بلدته (عنيزة) التي شهدت ولادته، وسمعت خطواته، وهو يدرج في رحابها:

طَربتُ وماذا على المشتاق أن طربا
لما دنت خطوات نحوهنَّ صَبا

وظل يعزف على قيثارة حب الوطن والعمل من أجله، ويؤكد التزامه بالتعليم إذ لا سبيل إلى الرقي والتقدم بغير علم، ومن قصائده في هذا الحقل قصيدة (بوح الشباب) التي نظمها سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م، وفيها تتجلى نزعته إلى العلم والدعوة إليه منذ أن كان يافعًا، فالعلم يؤدي إلى رقي الوطن، والجيش يؤدي إلى حمايته، وهذا ما يظهر في قصيدته (فتى الوطن) التي نظمها سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

لم يكن، رحمه الله، محبًا لوطنه فحسب، وإنما كان محبًا ومخلصًا لوطنه الكبير الذي يمتد من العراق إلى المغرب، وكان مؤمنا بوحدته، وبأَن أرض هذا الوطن ستظل مقبرة للغزاة:

وأمة العرب ما زالت وما برحتْ
في أَرضها للغزاة الموتُ والعطبُ

كان، رحمه الله، شديد الاعتزاز بأمته العربية، كثير التفاؤل بمستقبلها على الرغم من واقعها المرير:

هذي رؤى الآمال مشرقة
في أَرضنا السمراء تبتسمُ
فاكتب لفجر النصر أُغنيةً
تشدو بها الأَوطانُ والأُممُ
واهتفْ لراية أمة بدأت
في ساحها الوثبات تحتدِمُ
إِني نذرت لأمتي وتري
ما دام ينبِض في العروق دمُ
أَمجادها لَحْنٌ على شفتي
وكفاحها في خاطري نغمُ
أَستلهم النغمات ناطقةً
من مجدها فيصوغها القلمُ
شعرًا على نبرات أَحرفه
يتعانق الإِصرار والكرمُ

ويفتخر بالعرب:

أولئك القوم فخري عزتي حسبي
نِعْمَ الفخارُ ونعم العزُّ والحَسَبُ

والعرب شعب واحد وإن مزقته الأطماع والأحقاد، وكان يأسَى على ما آلت إليه ثورة العراق في الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨م، وما انتهت إليه الوحدة بين سورية ومصر في الثامن والعشرين من أيلول سنة ١٩٦١م.

وتصبح الوحدة عشقًا وهو في دمشق، سنة ١٤١٧هـ، بمناسبة أُسبوع الجامعات السعودية في رحاب الجامعات السورية:

أَتيتُ من موطني شوقًا إلى وطني
وأَرضُ يعربَ لي دُورٌ وأَوطانُ
عَشِقْتُ وَحْدَتها منذ الصبا ورسَتْ
لها بقلبي أَساساتٌ وأَركانُ

وعِشْتُ والدهـرُ تـأريخٌ صحائفـه
عِـزٌّ وأَسطـره للمجـد تيجانُ

يفـوحُ من سـيرة (الهـادي) وشِرعـته
عِطْـرٌ نسائمـه عـدلٌ وإِحسـانُ

وكانت فلسطين -جرح العروبة النازف، ثورة في قلب العثيمين، وفي سنة ١٩٧٣م نظم قصيدة «الأَساطير» وهي تتنزى أَلما، إِذ كان يحلم منذ صباه بتحريرها:

حينما كنت صبيًا
كنت أصغي للأَساطير فأطربْ
لم أكن وحدي الذي يصغي فيطربْ
كل طفل في بلادي كان مثلي
يسمع الجدةَ تجتر أَساطير عجيبة
فيصدق

ولكنه لم يَرَ شيئًا وقد وخطَ الشيبُ رأسه:

وتجاوزت سنين العمر من طور لآخر
غير أَني رغم أَنَّ الشيبَ قد باتَ وشيكا
لم أَزل أَسمع أَحيانا أَساطيرَ عجيبه
لأصدق

وتظل قضية (فلسطين) جرحًا ناغرًا في قلبه.

وفي عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م اندلعت الشرارة الأُولى للثورة الجزائرية، وفي سنة ١٣٧٦هـ/ نظم قصيدة «هَبَّتْ طلائعنا» محييًا الثورة:

هَبَّتْ طلائعنا كـالأُسْـد غاضبـةً
في عَدْوها غمغماتُ المـوتِ تضطربُ
توثَّبَتْ من ذُرى (أُوراس) هـائجـةً
في وجهها صولـةُ الطاغيـنَ تنتحبُ

وتهزه عمّان ويطرب شوقًا إليها في قصيدته «تحية من أَصالة نجد» التي أَلقاها في افتتاح ندوة أَقامها بعمان، المجمع الثقافي العربي، سنة ١٤٢٣هـ:

أَتيتُ أَحمـلُ من نجـد أَصالتها
رفـاقيَ الشيحُ والقَيصومُ والرطبُ

وطـائِـفٌ مـن صَبـا أَذكـتْ نسائمه
غمامـةٌ بالشـذا الـفواحِ تنسَكِبُ

وأَشاد بالرباط وطنجة في قصيدته «أمل في عذر» التي أَلقاها في تقديم الأمير خالد الفيصل في الأمسية الشعرية، يوم السبت السادس من حزيران سنة ١٩٩٩م، في الرباط:

قـد أَتـى يـا (ربـاط) هـل أَنـت إلا
مـا اقتضتْ رَغبـةُ العلـى أَن تكوني
تتملين (طنجـة) وهـي تُهـدي
قُـبلةَ الـود فـوق خـد العيون

ولم يقف حبُ العثيمين عند وطنه المملكة العربية السعودية، ووطنه الكبير وأمته العربية، وإنما كانت نزعته الاسلامية قوية، وكان حبه للعالم الاسلامي عظيمًا، وقد حَيَّا الرئيس البوسني علي عزة بيغوفتش عندما مُنح سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م جائزة الملك فيصل العالمية، وقال عنه: إِنه بطل من الأَبطال اتخذ الجهاد سبيلًا لتحرير بلاده:

رَمْـزٌ لشعـبٍ رِيع خافـقُ أَرضـه
واربـدَّ وجـه سمائـه وتجهـما
وجـرائمُ الأَعـداء تبـدو عنـده
أَفعـالُ (هـولاكو) أَعـفَّ وأَرحمـا

لم يقف شعر العثيمين عند الحنين إلى الوطن، والاعتزاز به، وإنما تعرض لشؤون أخرى تمثل موقفه من الحياة وتعبر عن مشاعره وهو غَضُّ الإهاب:

وتطفـرُ في عينـه دمعـةٌ
تـصـورُ آلامـه الداميـه
وتمسحهـا كـفـه خِـلسـةً
فتطفـر في إِثْـرهـا ثانيه
يـحـاول أَنْ تستكين الـدموع
وتـأبـى مـحـاجـره القـانـي
وفـي صـدره جَـذْوةٌ مـن لهيب
تـفـجـرهـا روحـهُ الباكيه
فتصعـد مـن نـارهـا آهـةٌ
ويطلقهـا مُـرصَّة قاسيـه

وماذا فعلت هذه الآهة الحرى؟

أَمـاتـت زهـورَ الـشـبـاب النـضـيـر
وقَـصَّـتْ بـراعـمـه النـامـيـه

وهـل كـان غـيـر الأسـى يـكـتـويـه
لـتـذويَ طـلـعـتـه الـزاهـيـه

وتتألب عليه صروفُ الحياة عام ١٩٦١م حتى إذا ما حلَّ عام ١٩٦٣ أَخذت أَطياف الهموم تزوره، وترتاده الأَشباح وهو لا يجد سبيلًا إلى النجاة مما يعاني من السهاد الذي تآمر عليه وحرمه طعمَ الراحة:

منحتُ الكرى قلبي فكافأني هجرا
وغـازلَ طـرفي النـوم لكنـه فَـرَّا

وظل يعزف على قيثارة الألم، ويشكو الأسى والهموم:

وحزَّ في نفسه أَن لا يُبعث إلى مصر ليكمل دراسته، وقد عبر عما قاسى من عذاب الخيبة في قصيدة «لا تظلموه» التي نظمها سنة ١٣٧٩هـ فقد كان يرى الأمل الوضاح أَمامه والنور يشع في طريقه:

وهناك عشتُ مع الخيال وذُبتُ في شتى الصورْ
خبر التقدم في النجاح ويا لذلك من خبرْ

وانتظر إِعلان النتائج فإذا به من الخائبين، وهنا ثارت نفسه وصرخ: «لا تظلموه ».

وما كان له وقد حُرم من البعثة إلا أن يسير إلى الملز، وهو الحي الذي كانت فيه جامعة الملك سعود ليلتحق بها.

ومضى عهد الشباب وهمومه، وتفتحت الآمال وإذا بالقصائد تشرق، وإذا بحب الحياة ينبض في القلب الذي كادت الهموم تقضي عليه، وإذا به يتطلع إلى الدنيا، والخير يسعى بين يديه، والحب يرفرف حوله بجناحيه، والشذا يعبق فيعطر الآفاق.

فـلـلـهـوى فـي عـيـونِ الـعـاشـقـيـنَ رؤى
هـي الـبـيـانُ إذا مـا عـزَّ تـبـيـانُ

وجـئـتُ يـحـمـلـنـي عَـبْـرَ المـدى قـبـسٌ
مـعـطـرٌ بـالـشـذا الـفـواحِ فـتـانُ

وشغلته شجون المجتمع ، وعبر عنها بقصائد تدل على تفاعله معها واهتمامه بشؤون الحياة التي تُفرض على بعض طبقات المجتمع، وفضحه الأساليب التي يتعاطاها بعضهم لكسب المال أَو الجاه. ومن تلك الشجون: البطالة التي قد تُؤدي إلى ارتكاب المعاصي والجرائم، وفي قصيدة «أنا عالة» التي نظمها سنة ١٩٦٣م تصوير للعاطل وما آل إليه من جوع دعاه إلى التسول:

مُـسْـتَـدِرٌّ أَتـغـذى مـن فـتـات البشريه
أُنـفـق الأَيـامَ بحثا عـن يـد تحنو عليّه
عن أكف تصنعُ القوتَ لتُسْديهِ إليَّه

وتلوح أمام ناظريه، البائسة، التي ما خُلِقتْ إِلا للتعاسة والشقاء:

للبؤس للألم المروعِ للتعاسةِ والشقاء
لكآبة المستضعفين لمر بؤسِ الأشقياء
خُلقتْ على هذي الحياة تُذاق أَنواع البلاء

ويصور ما يحتدم في قلبها من أَلم، ويصف حالها:

في قلبها ألم وفي أعماقها الحرَّى جراح

وينفث آهَة حَرَّى لما آلت إليه الحال من تفاوت طبقي، وتظل صورة التفاوت الطبقي ماثلةً أَمامه، ويناجي الله بعد أن أعياه التأمل:

ربـاه أَعـيـاني التأمـلُ واخـتـفـى
عـني الـعـلاج وأَنـتَ خـيـرُ عـلاجِ

فـاسـكـبْ عـلـى روحـي شـآبـيـبَ الـهـدى
وأَنِـرْ فـؤادي بـالـسـنـا الوهـاج

ومن شجون العثيمين: الرشوة التي يلجأ إليها الناس حين تُسد بوجوههم الأَبوابُ، وقصيدة «كلما فكرت» تصور هذه الحالة أوضح تصوير، كما تصور قصيدة «خلجات فلاح» الظلم الذي يقع على الفلاح حيث يبذر، ويسقي، ويحصد وغيره يتنعم بما أَثمرت يداه .

ولم يقف، رحمه الله، عند قضايا المجتمع فحسب، وإنما تحدث عن الواقع العربي وما فيه من جور وخداع، وذل واستعباد، ونهب الثروات.

ولم يكن بعيدًا عن الأَحداث العالمية وقضايا العصر، فقد نادى بقيام منظمة تحرير فلسطين إذ لا جدوى من قرارات هيئة الأمم وكانت منظمة فتح هي الحل.

ووقف مع مسلمي البوسنة والهرسك عند اعتداء الصِّرب عليهم:

الـصِّـرْبُ ضـد بـنـي الاســلام قـد كشفتْ
مـا أضـمـرت مـن نـوايـا مـكـرهـا حِـقَـب

ومن قضايا العصر، العولمة، التي شغلت الدول والمفكرين والاقتصاديين، وقد أبدع العثيمين في تشخيصها، واهتبل فرصة دعوة (جمعية التراث) ببيروت له سنة ٢٠٠٢م فألقى قصيدة «العولمة» في المؤتمر الذي عقد تحت عنوان (تراثنا - الواقع والمستقبل في ظل العولمة). وفي قصيدته أبدع في تشخيص العولمة، وهو ما يؤكده الواقع وقد خُدعَتْ بها بعض الشعوب فآمنتْ بها، وخضعت لدعايتها لأنها لا تمتلك العقيدة التي تعتصم بها، والحضارة التي تستمد منها وجودها وتؤكد هُويتها، والشاعر يرفضها، لماذا؟

أن تحكم الدنيا عصابات ابتزاز مجرمه
تفعل ما يحلو لها باطشةً مهدمه
لأنها في العالمين الخصمُ والمحكَّمه
ومن يَفِهْ بكلمة عن جورها أو مظلمه
غدا سليمُ رأسه جُمجمةً مهشَّمه
وأن تظل أمتي مُهانةً مشرذمه
يَزيدها مَرُّ الليالي فرقةً وأقلمه
وأن يرى أحرارها أفواهَهم مكممه
كيلا تُمس كبرياءُ النخبة المنعمه
والخيل عن جموحها المخيف تبقى ملجمه

هذه نظرة عامة في شعر الدكتور عبد الله العثيمين، رحمه الله، وقفتْ عند قضايا الوطن وشؤون خاصة وعامة، أما الجوانب الفنية فتتجلَّى في لغة الشعر الفصيحة ووضوحه، ووحدة موضوعه، وأسلوب القص والأساليب البلاغية، والاقتباس، والوزن، والقافية.

وقد اتضح في دراسة بنية الشعر أن الشاعر ظل ملتزمًا بسمات الشعر العربي الأَصيل، لغة، وتركيبًا، وتصويرًا، وإيقاعًا، وأنه ما نأى عن هذا العصر فعاش في أحداثه، وعبر عن أفراحه وأتراحه ومآسيه، وشعره بعد هذا «شعر شاعر فنان».

سلامٌ عليك أخي عبدالله في رياض الصالحين

أ. د. محمد عدنان البخيت
رئيس مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية - الأردن

طالما سمعتُ من والدي، رحمه الله، وهو يقول: «الرجلُ الزين هو الذي تسمع عنه قبل أن تلقاه»، وهذا ينطبق -بطبيعة الحال - على فقيدنا المرحوم الأستاذ الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، فإن سمعته العلمية قد سبقته، وذاعت سيرته في تقصيه للمصادر المتنوعة من المخطوط والمطبوع عند تناوله أي بحث يدرسه، ولقد نجح في معالجة المواضيع التي تناولها بدءًا من رسالته للدكتوراه عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وانتهاءً بما كتب طوال مسيرته العلمية. لقد ثابر المرحوم على البحث الجاد بعد عودته إلى الرياض والتحاقه بقسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة الملك سعود، وصدر له العديد من البحوث العلمية الرصينة التي تجاوز عددها المئة بحث تناولت تاريخ عدد من الأسر والقوى المحلية في الجزيرة العربية قبل توحيدها على يد الملك عبدالعزيز.

عُرِفّ الدكتور عبدالله بالتواضع والتقشف، والبعد عن الأضواء، وبإنسانيته السمحاء المتأصلة في عروبته الصافية والمتجذرة في سمو عقيدته الإسلامية، لذا لم يكن غريبًا أن يختار القائمون على جائزة الملك فيصل عبدالله أمينًا عامًا للجائزة التي أدارها باحترافية ومهنية، وكان أداؤه لا يقل عن إدارة المؤسسات الدولية النظيرة في أهدافها ورسالاتها لمؤسسة الملك فيصل.

كان الضيوف من الخبراء وأعضاء لجان الاختيار في الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل يؤخذون بتواضع الدكتور عبدالله وبشفافيته، وعدم تدخله في أعمال اللجان الفاحصة التي كان يُحيطها بالحماية المعنوية، ولا يتدخل في توجيه توصياتها. وأذكر هنا أنني مع عدد من زملائي في لجنة الدراسات الإسلامية كنا نطلب رأيه فيعتذر لنا خشية أن يؤثر علينا ذلك في اتخاذ القرار.

في آخر مرة حضرت فيها الجلسة الختامية لإعلان النتائج برئاسة سمو الأمير خالد الفيصل الذي طلب من فقيدنا أن يقرأ أسماء الفائزين ففعل ذلك بعد جهدٍ جهيد.

في تلك الجلسة أدرك الحضورُ كما أن الأعمار بيد الله؛ فإن هذا اللقاء ربما يكون اللقاءَ الأخير مع الدكتور عبدالله، وصعدتُ المنبر حيث يجلس، وقبَّلتُ رأسه ثلاث مرات، وما زلتُ أشعرُ أنني أُقبلُ هذا الرأس الشريف.

سلام عليك أخي عبدالله في رياض الصالحين ..

من حديث الذكريات مع عبد الله العثيمين

أ. حسين بن عبدالرحمن العذل

الأمين العام للغرفة التجارية الصناعية بالرياض (سابقا)

غمرتني السعادة، وتملكتني الفرحة عندما أكرمتني الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية ودعتني إلى حضور الندوة العلمية عن رفيق العمر المرحوم الأستاذ الدكتور عبدالله بن صالح العثيمين، والمشاركة بمداخلة قصيرة كأحد الشهود على سيرة المرحوم بحكم الصداقة والزمالة، والملازمة بحكم العلاقة الشخصية. ولا أكتمكم سرًا أن الرهبة والخوف تملكاني لسبب بسيط، هو عدم القدرة على ضبط العاطفة أمام هذا الجمع المبارك من رجال الفكر والعلم والأدب. والسبب الآخر أن الفقيد، رحمه الله، صاحب سيرة أشبه ما تكون بالبستان ذي الثمار اليانعة التي تحف بها الورود والزهور من جميع الجوانب، ويحار معها المرء أي شيٍّ يقطف. فالمسيرة مشرفة وعامره يحتاج كل جزء منها إلى وقت طويل للإحاطة به، ويحضرني في ذلك موقف والدة الربيع وعمارة ابن زياد عندما سُئلت عن أبنائها الستة، فقالت: أفضلهم فلان، لا بل فلان، لا بل فلان، ثم قالت: ثكلتهم إن عرفت أيهم الأفضل.

لن أتطرق إلى جوانب الفكر والأدب والتاريخ فقد تحدث عنها إخوة أجلاء بحكم التخصص والقدرة على العرض والبحث والنقد الأكاديمي، وهي أمور تقصر همتي عنها، لذا سأتطرق إلى بعض الجوانب الشخصية التي يعلمها ويشعر بها المرء تجاه صديقه وصاحبه في أبسط صفات العلاقة غير المتكلفة .

عرفت الفقيد على البعد قبل أن تتاح لي فرصة الالتقاء به، والسبب أنني سمعت عنه الكثير من أصدقاء ومعارف مشتركين؛ فأحببته وأعجبت بشخصه، وتمنيت أن أراه، ولكن تعذر تحقيق الأمنية لأنه كان حينها مبتعثًا لدراسة الدكتوراه في المملكة المتحدة في أدنبره باسكتلندا تحديدًا. ويشاء الله أن أحصل على بعثة لدراسة اللغة والإحصاء في لندن فعللت النفس بالبحث عنه ومقابلته من خلال عديلي وابن عمي الأستاذ عبدالله الصالح العميل، متع الله به، الذي كان زميل دراسة وصديقًا للفقيد .

إلا أنني فوجئت به قد عاد مجازًا إلى المملكة، فانتظرت عودته على أحر من الجمر، ثم عاد بعد الإجازة وتوقف في لندن فقابلته بسكن الأستاذ العميل، حيث كان يقيم في طريقه إلى أدنبره، ولم يستغرق الأمر سوى دقائق ليأنس كل منا بصاحبه، واستمرت العلاقة منذ عام ١٩٦٨م إلى أن اختاره الله إلى جواره، وقَلَّ أن يمضى أكثر من يومين دون أن نلتقي. وقد انبهرت بشخصيته التي كانت أبسط من أن يتصور المرء عن شخص وهبه الله ما وهبه من المزايا والصفات والقدرات، حتى أقعده المرض، وأكتشف كل مرة بُعدًا أعمق لتلك البساطة غير المتكلفه.

تواضع جم يصل إلى درجة إنكار الذات، وزهد يصل إلى حد التقشف، والرضى بالقليل، وصدق الحديث، وأمانة الرواية .. مرح يملأ المجلس بهجة .. وإحاطة بالأوضاع الاجتماعية والظواهر والتحولات، وحُب للوطن ومسقط الرأس والوطن العربي حبًا يصل إلى حد الثمالة عَبَّر عنه في الكثير من المقالات والقصائد والمنتديات .. كان لصيقًا بأسرته الصغيرة والمعتدلة يحرص على صلة الرحم وتبادل الزيارات .. ما تتاح له فرصة زيارة مسقط الرأس إلا وسارع؛ بالرغم من أن محيط الأصدقاء جُلُّه من مسقط رأسه ممن انتقلوا إلى الرياض.

له باع وذراع في الأدب الشعبي المكتوب والمسموع، ولا زلت أذكر مشاركته بقصيدة شعبية في معرض الكتاب عندما كان يقام بجامعة الملك سعود، وسمها (طب خد الملعبه) أي تقدم إلى ساحة الشعر والمحاورة ، وكانت قصيدة جميلة بنسق غير شائع (خماسية القافية) أعجبت راعي اللقاء – أمير منطقة الرياض في حينه –خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان الذي استدعاه بعد القصيدة، وتعرف عليه، وكان مشدوهًا بأن يكون هذا شقيق الشيخ محمد العثيمين، رحمه الله، فيبدو أنه كان يستبعد تعايش الفقه والشعر تحت سقف واحد، واستمر تواصله مع خادم الحرمين الشريفين حول الشعر والأدب والتاريخ بوجه خاص.

وكم كانت بيننا مطارحات شعرية شعبية بعد عودتي من لندن؛ لأن همتي تقصر عن قرض الشعر الشعبي، ولكنني أتطفل على الشعر الشعبي بصورة شخصية خاصة مع أمثال الفقيد. ويعلم الله أن ما وصفته به من سمات خير زادت تأصلًا على مر الأيام، وأحمد الله أن النتائج تجاوزت التوقعات فرحمه الله رحمة واسعة .. ظاهرة أخرى قد تمر على البعض مر الكرام، وهي جمال خطه وحسنه ودقته، وبالطبع اللغة والإملاء مسلمات يعتبر فيها مرجعا .. وقد كتب بعض المحاضرات بخط يده في شكل كتاب أحضرت صورة لأحدها من باب الاستشهاد، وقد عرفت قله ممن يعتنون بالخط والإملاء واللغة من معاصري المرحوم، مثل صديق الجميع: الأستاذ الشاعر سليمان الشُّرِيِّف الذي كتب أحد دواوينه بيده، ويعلم الله أن خطه أجمل من الطباعة وأقرب إلى النفس، وقد أحضرت نسخة عن الديوان لمن

يرغب في الاطلاع عليها، والآخر أخي وسيدي الأستاذ الدكتور صالح بن عبدالرحمن العذل، والثلاثة في نظري يجمعهم الكثير من الخصال والصفات الحميدة المشتركة.

أكتفي بهذا القدر لئلا أطيل، ولكن يعلم الله أنه حديث الروح الذي عبر عنه شاعر الإسلام محمد إقبال:

(حديث الروح للروح يسري وتدركه القلوب بلا عناء)

طابت ليلتكم، وجمعنا الله وإياكم في مناسبات خير كهذه نلتمس من خلالها الأسوة الحسنة كفقيدنا الدكتور عبدالله طيب الله ثراه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شكر وتقدير

د. صالح بن عبدالله العثيمين

استشاري طب العيون بمستشفى الملك خالد للعيون - الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم ... والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين ... أما بعد:

الإخوة والأخوات الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

بداية أود أن أتقدم بالشكر الجزيل لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز، ولجائزة الملك فيصل العالمية ممثلة بالأمانة العامة لإقامة هذه الندوة الخاصة عن والدي رحمه الله .

بعد أن تحدث المشاركون الأفاضل في عدة محاور عن الحياة العلمية للوالد وعلاقاته الشخصية بزملائه وأصدقائه، سأتحدث بشكل موجز في كلمتي المختصرة عن جوانب من حياته الشخصية وعلاقته بأسرته .

وُلد والدي، رحمه الله، بمدينة عنيزة عام ١٣٥٥ هـ كثالث أربعة أبناء للجد صالح بن محمد العثيمين. شقيقة الأكبر هو فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله، والأصغر الشيخ عبدالرحمن العثيمين، حفظه الله، وأخت واحدة. نشأ وتربى رحمه الله في بيت الأسرة الذي كان يضم، بالإضافة إلى جدنا صالح، أخويه سليمان وحمد رحمهم الله جميعا. ومن هنا كانت العلاقة بين أبناء العمومة قد تجاوزت علاقة النسب والقرابة إلى علاقة أخوة حقيقية صادقة، فلقد تربوا في البيت نفسه، ونهلوا من المنهل عينه.

تربي والدي، رحمه الله، في ظل عناية والده صالح الذي كان حاضر الذهن، سريع البديهة، شديد الفراسة، حسن التصرف والتعامل، وهو ما ترك أثرا بالغًا في شخصية والدي، كما كان لوالدته مضاوي بنت عبدالرحمن الدامغ، تلك المرأة العظيمة، بصمة كبيرة في حياته. لا يمكن لي حقيقة أن أقدم شهادتي في بر والدي لوالديه، فالكلمات والجمل لن تكفي لوصف هذه العلاقة التي جسدها، رحمه الله، بكل ما تعنيه كلمة بر من معنى، من حرص على السمع والطاعة لهما، والتواصل معهما، وملازمتهما في مرضهما حتى وفاتهما. لم يكدر خاطرهما بكلمة ولا بفعل. رحمهم الله جميعا ...

لقد كانت علاقته بإخوته مميزة ورائعة، كان نعم المعين لأخيه الأكبر فضيلة الشيخ محمد، ونعم الموجه الناصح لأخيه الأصغر عبدالرحمن، ونالت أخته منه كل الاحترام والاهتمام.

ومن بره بأخيه الشيخ محمد، رحمهما الله، اهتمامه بمؤلفات الشيخ والإشراف عليها وعلى طباعتها إشرافًا مباشرًا إذ ترأس اللجنة التي أوكلها الشيخ محمد القيام بذلك، وكذا ترؤسه مجلس إدارة مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية بعد وفاة الشيخ، رحمه الله. هذه العلاقة المميزة له بإخوته كانت الدرس العملي لنا نحن أبناءه، فلقد رسمت لنا الطريق السليم لطبيعة العلاقة التي يجب أن نسير عليها في علاقتنا مع بعضنا البعض.

كان والدي بالنسبة لي ولإخوتي أبًا صديقا، مربيًا حنونًا، شديد الاهتمام والحرص علينا في جميع النواحي الأخلاقية والدراسية والصحية . فَشِدَّتُه تُخفي رَحْمَهً، وابتسامته تُضفي سعادة وراحة في البيت حتى في أصعب الأوقات.

مشاغله الكثيرة لم تمنعه من أن يباشر تدريسنا بنفسه ويراقب عن قرب أداء واجباتنا الدراسية، وسفراته المتعددة لم تكن أبدًا عائقًا له عن زياراته بشكل شهري لمدارسنا للسؤال عن تحصيلنا العلمي من المدرسين والمشرفين، ليحفز ويبارك لمن جَدَّ منا واجتهد، ويقوّم وينصح من لم يكن كذلك.

وبالرغم من رباطة جأشه وقوة عزيمته؛ إلا أن قلبه المرهف المحب سرعان ما يتغلب عليهما حينما يتعلق الأمر بما يصيبنا من وعكات صحية وإن كانت عابرة، ليظهر هذا واضحًا جليًا في محياه، خصوصا لمن عاشره وعرفه جيدًا. فتجده مهموما مشغول البال حتى تتحسن الأحوال ويزول المرض. وما قصيدته التي كتبها حينما أُصِبْتُ بالحصبة في سن الثالثة فكتبت له أختي رسالة وأخبرته بذلك. وكان وقتها، رحمه الله، خارج المملكة. إلا شاهدًا على هذه المشاعر التي لم يكن يستطيع إخفاءها.

قال رحمه الله:

خطك وصل يا قرة العين والروح ... يا بنت من هو فدوة لك بدمه
لا شك مما به غدا القلب مجروح ... غطت على الثومة عواصيف همه
وقلب تجي به نسمة الحب وتروح ... سهل على ريح المصايب تسمه
ونفس المحب ان ناشها ظفر ساموح ... أمست بغبات الكدر مستحمه
يا عونة الله كيف ابا اسلي وابو ... تلعب به الحصبا ولا نيب له
صلوحودي الى بيّن على جسمه ... أحط قلبه فوق قلبي واخمه
الفوح لو كان ما له من مراعي مصلوح ... ما دام عنده مثل خاله وعمه
واللي كتب كل المقادير باللوح ... أرحم بمخلوق ضعيف من أمه
باب الرجا بمصرف الكون مفتوح ... ولا خاب من يمم شكاويه يمه

رحمه الله رحمة واسعة

لم يقتصر هذا الاهتمام وهذه الرعاية على إخوته وأبنائه فقط. وإنما كان مهتمًا بجميع أفراد عائلته، كبيرهم وصغيرهم، موجهًا وناصحًا وداعمًا ومسديًا للمعروف للقريب منهم والبعيد. وبالرغم من المشاغل الكبيرة التي كانت على عاتقه إلا أن هذا لم يمنعه مطلقًا من الاجتماعات الأسرية والحرص عليها، وتخصيص يوم على الأقل في الأسبوع للاجتماع مع الأقارب والأهل في أيام العمل، وبشكل شبه يومي في أيام العطل .لقد كان لنا ولبقية أفراد العائلة مدرسة في الأدب والعلم. اجتمعنا تحت رعايته ونهلنا مما جاد به علينا من كرمه وسخائه، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

في الختام أكرر شكري وتقديري مرة أخرى للأمانة على هذه الندوة. وللمشاركين فيها على هذه التغطية الجزلة. وللحضور على تلبية الدعوة. وأسأل الله العظيم أن يتغمد الفقيد بالرحمة والمغفرة وجميع موتى المسلمين، وأن يجمعنا بهم في جنات النعيم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد.

والسلام عليكم ورحمة الله ...

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم د. عبدالعزيز السبيّل	٥
عبدالله العثيمين مؤرخًا أ.د. عبدالعزيز بن صالح الهلابي	٧
عبدالله العُثَيْمِين مُحَقِّقًا أ.د. أيمن فؤاد سيِّد	٢٥
عبدالله بن صالح العثيمين مترجمًا أ.د. خالد بن حمود السعدون	٣١
الوطنية في شعر عبد الله الصالح العثيمين أ.د. محمد بن عبد الرحمن الهدلق	٥١
العروبة بين الشك واليقين في شعر عبد الله العثيمين أ.د. لويزا بولبرس	٦٧
ملامح التجربة الشعرية عند عبدالله العثيمين أ.د. إبراهيم بن عبدالرحمن المطوع	٨٧
د. عبدالله العثيمين والهمُّ العربي أ. د. أحمد بن محمد الضبيب	١٠٣
شهادة وفاء وعرفان لروح العلاَّمة المرحوم **عبدالله الصالح العثيمين** أ. د. عباس جراري	١٠٩
اللقاء الأَخير أ. د. أحمد مطلوب	١١٧
سلامٌ عليك أخي عبدالله في رياض الصالحين أ.د. محمد عدنان البخيت	١٢٥
من حديث الذكريات مع عبد الله العثيمين حسين بن عبد الرحمن العذل	١٢٧
شكر وتقدير د. صالح بن عبدالله العثيمين.	١٣١

الأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالميّة
مبنى الخيرية - طريق الملك فهد
صندوق بريد ٢٢٤٧٦ الرياض ١١٤٩٥ - المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ (١١ ٩٦٦+) - فاكس ٤٦٥٨٦٨٥ (١١ ٩٦٦+)
بريد الكتروني kfipinfo@kfip.org

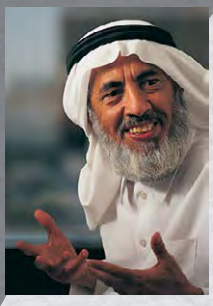

عبدالله العثيمين

وُلد في عنيزة بمنطقة القصيم ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م، وتخرج في المعهد العلمي (الديني) سنة ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨م.

تخرج في قسم التاريخ/ جامعة الملك سعود بالرياض سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

نال شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة أدنبره سنة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. وكانت أطروحته حول حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مع تحليل لإنتاجه العلمي، ومناقشة لآراء معارضيه.

عمل في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، وحصل على الأستاذية عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م. ورأس القسم، وشارك في العديد من اللجان العلمية والإدارية في الجامعة. وقد أمضى في الجامعة ثمانية وعشرين عاماً.

عين عضواً في مجلس الشورى (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م - ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م).

عمل عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضواً في مجلس أمناء مؤسسة حمد الجاسر الخيرية، وفي هيئة تحرير عدد من المجلات العلمية.

عمل أميناً عاماً لجائزة الملك فيصل العالمية (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م - ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م).

نال جائزة الأمير سلمان بن عبدالعزيز التقديرية للرواد في تاريخ الجزيرة العربية

أما مؤلفاته فقد صدر له في التاريخ ستة عشرة مؤلفاً، وأربعة كتب مترجمة، وثلاثة كتب محققة، وفي الأدب أصدر عشرة دواوين شعرية، وفي قضايا الأمة سبعة كتب. وقد تناولت الندوة كثيراً من أعماله.

انتقل إلى رحمة الله يوم الثلاثاء ١٢/ ٠٧/ ١٤٣٧هـ الموافق ١٩/ ٠٤/ ٢٠١٦م.